ألفريد هتشكوك



الطريق المسدود

ترجمة
محمد عبد المنعم جلال

الطريـق المسـدود

تأليف : ألفريـد هتشكوك
ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

المبتز الصغير

جلس عمى فى غرفة المكتبة ، أمام مكتبه الضخم ، وراح ينظر الى فى غضب وقلق وخوف فى نفس الوقت ، واخيرا قال :

ــ لدى بضعة اسئلة يا هارولد ، واريد ان تكون اجاباتك واضحة ومحدودة ... لا اكاذيب ... هل تسمعنى ؟

ــ ليس من عادتى أن اكذب . (وكنت اكذب طبعا) .

ــ حقا ؟ ولكن تصرفاتك تدل على العكس ، وطالما اثارت فى نفسى الشكوك ، غير ان هذا لا يهم الآن . انما المهم هو أننى اريد أن اعرف أين كنت مساء امس، فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين ؟

ــ فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين ؟.. كنت فى فراشى طبعا .

اسرع عمى يقول :

ــ هذا غير صحيح ، فقد رأتك السى تهبط فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة وانت بكامل ثيابك . قالت لى ذلك عندما سألتها هذا الصباح .

كانت السى الخادمة من أهل البيت ، وكانت تدس انفها فى كل شىء ، الأمر الذى سوف ينتهى بها اسوأ نهاية . وكانت تقيم معنا انا وعمى والتر وعمتى بيرل . وقطبت جبينى وقلت .

ــ اننى أتذكر الآن ... ذهبت لكى أتمشى قليلا .

ــ فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين ؟

ــ لم أستطع النوم فخرجت أستنشق الهواء لعله يفيــدنى .

ــ وأين ذهبت ؟

ــ أوه ، هنا وهناك ... وهذا كل شىء .

ــ هل خرجت من اراضى القصر ؟

ــ كلا ، على ما أذكر .

ــ هل ذهبت ناحية المخزن القديم ؟

ــ كلا (وكنت أكذب طبعا) .

بذل عمى جهدا كبيرا لكى يخفى لهفته وقال :

ــ انت كنت جوار المخزن ، أليس كذلك ؟

ــ قلت لك لا .

ــ ولكننى رأيتك يا هارولد ... اكاد اجزم باننى رأيتك . كنت مختبئا فى أشجار الرتد .

ــ ليس من عادتى أن أختبىء فى الغابة (وكانت هذه أكذوبة أخرى طبعا) .

ــ كان هناك من يختبىء فى الغابة ، ولا يمكن أن يكون شخصا آخر غيرك ، فقد كانت كل من السى والعمة بيرل فى البيت .

ــ هل أستطيع أن ألقى سؤالا ؟

ــ ماذا تريد ؟ .

ــ ماذا كنت تفعل انت بجوار المخزن القديم فى الســاعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين مســاء أمس ؟

اصفر وجه عمى وصاح :

ــ لا أهمية لما كنت أفعل ، ولكن ماذا كنت تفعل انت هناك ؟

اريد أن أعرف ماذا استطعت أن ترى وان تسمع ؟

ــ وهل هناك ما يسمع أو يرى يا عمى ؟

ـ كلا طبعا . اريد أن أعرف بالتأكيد . اسمع يا هارولد . ماذا سمعت أو رأيت وأنت فى الغابة ؟

ـ أولا . لم أكن فى الغابة ، وبناء على هذا لم أر أو أسمع شيئا .

نهض عمى والتر فجأة ، ويداه خلف ظهره ، وراح يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا . كان يبدو كحقيقته تماما ... محاميا مسنا متغطرسا ... ووقف أمامى أخيرا ونظر الى من عل وقال :

ـ ألم تكن بجوار المخزن القديم امس ؟ ... ألم تر أو تسمع شيئا أثناء نزهتك المزعومة ؟

كذبت من جديد وقلت : كلا .

ـ ليس أمامى الا أن أصدقك . ولا يهم الآن سواء كنت هناك أو لم تكن طالما ترفض الاعتراف بذلك ، لأننى أظن أنك ستصر على الانكار ، سواء كان ذلك معى أو مع غيرى .

ـ اننى لا أفهمك تماما يا عمى .

ـ لا حاجة بك الى أن تفهم ... هـــذا كل شىء يا هارولد .

نهضت وغادرت الغرفة ومضيت الى المرجة خلف البيت . وبعد أن تأكدت أن السى وعمتى ليستا هناك ، وأن عمى لم يتبعنى ، خرجت فى حذر ، واجتزت الحديقة مسرعا ، وذهبت الى المخزن القديم .

وكانت أشـــجار الرند التى اختبأت بها بالأمس فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين ، بعد أن تبعت عمى والتر ، (وكنت قد رأيته يخرج خلسة من البيت وأنا أتأهب للخروج لكى أتمشى) تمتد بطـــول

الجدار الجنــوبى للبيت . وتجاوزت الغابة المذكورة ومشيت منها الى المخزن القديم ، فى نفس المكان الذى وقف فيه عمى بالأمس لكى يتكلم مع الرجل الذى كان واقفا هناك .

وكانا قد تحدثا فى صــوت خافت طبعــا ،ولكننى استطعت ، فى هدوء الليل أن أسمع كل كلماته كما سمعت الطلقة المكتومة التى وضعت حدا لحديثهمــا فجــأة .

ورحت أتساءل الآن ، وأنا أردد البصر حولى ماذا فعل عمى بالجثة ، لأن الطلقة جعلتنى أنتفض رغمــا عنى وأتسبب فى صدور حفيف لأوراق الشجر . وقد بادرت بالفــرار عنــدما أسرع عمى ليستطلع الأمر . واختبأت خلف سياج من اشجار المغنوليا حيث بقيت الى أن تأكدت أن عمى لم يتبعنى ، وبعد بضع دقائق عدت الى المخزن عن طريق آخر . ولكننى خشيت أن يفاجئنى عمى فعدت الى مكانى الأول وانتظــرت . وبعد خمس وعشرين دقيقــة ظهر عمى وعــاد الى البيت .

وفكرت أن نصف ساعة او ما يقرب من ذلك وقت قصير لاخفاء الجثة .

* * *

عثرت عليها بسهولة فجاة بين اشجار الاوكاليبتوس. وكان عمى قد غطاها ببعض الأوراق والأغصان المتكسرة المتخلفة عن الأشجار ، وهو مخبأ غير مثالى ولكنــه كان مخبأ مؤقتا طبعا ، لأن عمى لم يكن قد فكر بعد فى الطريقة التى يخفى بها الجثة . وخطر لى انه اذا اتخذ

قرارا قبل حلول الليل فانه سيعود اذن لكى ينقلها الى مقرها الأخير .

واكتشفت الجثة ورحت أتأمل الميت بضع لحظات .

كان نحيفا وقصير القامة ، حاد القسمات ، غائر العينين ، وكان يبدو على حقيقته تماما كعمى ... أعنى كان يبدو عليه الاجرام . ولم يكن هناك شك فى أنه مبتز ، ولكنه لم يكن ماكرا ولا حريصا مادام قد رضى ان يحدد له عمى موعد وساعة اللقاء . ما هى الأسباب التى قدمها له عمى لكى يحمله على المجىء ؟ ولكن لا أهمية لهذا على كل حال ، فقد كان الرجل من الغباء لكى يرتضى أسبابه ، ومهما كانت الظروف فقد لقى حتفه الآن .

وكان عمى والتر غبيا هو الآخر ، أولا لأنه وضع نفسه فى موقف عرضه للتهديد والابتزاز ، وثانيا لأنه ارتكب جريمة قتل فى أملاكه هو بالذات ، وهى جريمة كان الاعداد لها ، والتنفيذ غير سليمين . وكان فوق ذلك يميل الى الشقراوات وراقصات الكباريهات ، وهو امر لم تكن عمتى بيرل تعرفه ، ولم أكن أعرفه أنا الآخر ، الى ان سمعت الحديث الذى دار بينه وبين ذلك الرجل امس .

وكان هذا سبب التهديد على كل حال ، وقد قتله عمى لأنه اصبح يطالبه بمبالغ أكبر من تلك التى حصل عليها قبل ذلك ثمنا لصمته . وكان عمى معروفا ببخله . وكان لابد لى من ساعتين لكى أنقل الجثة . وأنا لست قويا جدا ، وعلى الرغم من ان الرجل كان قصير القامة ، ونحيفا ، الا ان نقله لم يكن بالأمر اليسير . واستطعت

اخيرا ان أخفيه فى مكان بدا لى أنه مخبأ مثالى ، ويقع بعيدا عن أملاك القصر بمسافة لا بأس بها . فقد كانت هناك غابة من الأشجار الضخمة خلف القصر وجدت بينها جذعا ضخما أخذه التلف ونخرته الحشرات . وكان يبدو فى حالة متينة ولكننى لم البث ان تحققت أنه أجوف . وجررت الجثة اليه واستطعت أن أدخلها فيه كلية ثم أخفيتها ببعض الأوراق بحيث يخيل لمن ينظر اليه انه جذع عادى غير أجوف .

وعدت الى البيت بعد ذلك دون أن يرانى أحد ، واغتسلت ثم قضيت بقية اليوم فى المطالعة فى غرفتى .

***

اوشك عمى والتر ان يقع فريسة للسكتة القلبية .

صاح يقول : ــ اين وضعتها ؟.. اين وضعتها ؟

نظرت اليه فى براءة وهو جالس أمام مكتبه . وكانت الساعة قد تجاوزت الثامنة صباحا بقليل ، وكان قد أيقظنى وهو يدق على الباب بشدة فهبطت وأنا بمنامتى وبالشبشب .

وسألته : ــ اين وضعت ماذا ؟

ــ أنت تعرف جيدا .

ــ أخشى اننى لا اعرف شيئا يا عمى .

ــ ولكننى أعرف أنه أنت يا هارولد ، كما أعرف منذ البداية أنه أنت الذى كنت تختبىء خلف الأشجار ، فى الليلة الماضية . انك رأيت وسمعت كل شىء ... تكلم واعترف .

ــ ليس هناك ما أعترف به .

هوى بقبضته على المكتب وقال :

ــ لماذا نقلتها ؟... اننى لا أستطيع ان أفهم .. لماذا يا هارولد ؟
لماذا نقلتها ؟
ــ نقلت ماذا ؟
ــ انت تعرف جيدا .
قلت :
ــ هذه حلقة مفرغة . لا أدرى عم تتكلم حقـــا يا عمى .
ــ بل تعــرف تمـــاما عم أتكلم يا هارولد . ماذا فعلت بها ؟
ــ بأى شىء ؟
ــ انت تعرف .
واستحال وجهه الى لون غريب أقرب الى اللون الخبازى وصاح :
ــ لماذا تصر على الكذب ؟... وماذا تريد ؟
ــ لا أريد شيئا . (وكنت أكذب) .
ــ هارولد !.
ــ اذا كنت قد فرغت فاننى أريد أن أذهب لكى ارتدى ثيابى فاننا ، وان كنا فى منتصف الليل الا أن الطقس بارد .
ــ نعم . اذهب وارتد ثيابك ، ثم تعال لنذهب معا بعد ذلك .
ــ نذهب الى اين ؟
ــ لكى نبحث عنها .
ــ عن أى شىء ؟
نظر الى نظرة سوء وقال :
ــ اننى سأعثر عليها ... فلا يمكن أن تكون قد ذهبت بها بعيدا ... سأعثر عليها يا هارولد .

ولم يعثر عليها طبعا .

وفى وقت متأخر من تلك الليلة طرقت باب غرفة المكتبة ، ودخلت . كان عمى جالسا أمام مكتبه ، وقد دفن راسه بين يديه كما لو كان يتألم . وكان وجهه أزرق اللون وعيناه غائرتين ، وبدا لى ان اللحظة مناسبة .

وعندما رآنى تحولت زرقة وجهه الى حمرة الغضب وصاح :

ــ أنت !.. انت !..

ــ كيف حالك يا عمى ؟... اراك تتألم .

ــ لو انك لم تكن من الاسرة .. نعم . لو لم تكن من الأسرة ... ولكن لا فائدة يا هارولد . اصغ الى . قل لى ماذا فعلت بها . أريد أن أعرف هل هى فى أمان . هل تفهم ؟

ــ ليس تماما . ولكن يخامرنى احساس أن ما تبحث عنه فى أمان .

انبسطت أساريره وقال :

ــ هل أنت واثق ؟

ــ وهل هناك من يستطيع ان يثق من اى شىء فى أيامنا هذه ؟

ــ ماذا تعنى ؟

جلست فى وقار وقلت :

ــ اننى فكرت جدا يا عمى . ان المصروف الذى احصل عليه قليل جدا ، واننى أتساءل اذا لم يكن فى مقدورك أن تزيده .

أمسك بحافة مكتبه وصاح :

ــ هذا هو الأمر اذن ؟

— ماذا ؟

— هذا ما كنت تريد ؟ ولهذا السبب لم تكف عن الكذب ونقلات .. الشيء من مكانه . كل ما أفلحت انا فيه هو اننى استبدلت مبتزا بآخر ... وابن أخى بالذات !

قلت وانا اتظاهر بأننى جرحت فى كرامتى واحساسى :

— مبتز ! ... ما هذا القول البغيض الفظيع يا عمى ؟... كل ما قلت هو اننى طلبت فى أدب زيادة مصروفى . وهذا أمر آخر على ما اعتقد .

وبدأ انه يفكر . وهدأ كثيرا ثم قال .

— نعم . هذا شيء آخر طبعا . حسنا . سوف ارفع مصروفك ... ولكن أين هى ؟

سألته :

— أين ماذا ؟

— اصغ الى الآن .

قاطعته قائلا :

— ما زلت لا افهم عم تتكلم . ولكن اذا لم ترفع مصروفى أو اذا رفعته ثم الغيت الزيادة فيما بعد فاننى أظن اننى سأستطيع عندئذ أن افهم ما يدور بسهولة واتكلم عنه مع عمتى بيرى ... أو مع البوليس .

أطلق عمى تنهيدة تدل على الرضوخ والاستسلام وقال :

— انك ربحت يا هارولد .. اظن أن أهم شيء هو أن يكون « الشيء » فى أمان ، وقد اكدت لى ذلك .. أليس كذلك ؟ .. كم تريد ؟

— ثلاثة أضعاف المصروف الشهرى .

ـ مائة وخمسون دولارا فى الشهر ؟
ـ نعم ..
ـ ولكن ماذا ستفعل بكل هـذا المبلغ ؟... انك لست الا فى الحادية عشرة .
ـ سأعرف كيف أنفقه يا عمى ... فأنت تعرف اننى ذكى .
أطبق عينيه وقال :
ـ حسنا . سأعطيك ثلاثة أضعاف المبلغ ، ولكن اياك أن تطلب سنتيما واحـدا زيادة بعـد ذلك ... ولا سنتيم يا هارولد .
ـ أوه ، كلا . ولا سنتيم .
وكنت أكذب طبعا . وابتسمت فى قرارة نفسى ، فقد كنت أختلف فى هذه النقطة مع من هم فى مثل عمرى لأننى كنت أعرف تماما ما سوف أفعل فيما بعد .

* * *

الطريق المسدود

راح صليل التليفون يدوى فى أذنى وأنا غارق فى أحلامى . وتقلبت محتجا وضغطت الغطاء ، فوق رأسى فى حركة تحد ، ولكن الدوى ازداد حدة ولم ينقطع .

وطرحت الغطاء أخيرا عنى على مضض ، ومددت يدى ابحث عن المنبه ذى العقارب المضيئة . كانت تشير الى الساعة الواحدة ، فى حين اننى رقدت فى منتصف الليل بالذات . وكانت الطائرة التى ركبتها بالأمس قد وصلت متأخرة عن ميعادها ، ولم يكن بالمكتب أحد يعرف اننى عدت . ومع ذلك فقد راح التليفون يصلصل فى اصرار .

وأضأت المصباح الذى بجوار الفراش ، ورفعت السماعة ، فسمعت صوتا يقول :

ــ كوشرين !.. أنا روس .

قلت وأنا أضع قدمى فوق الأرض :

ــ اننى مصغ .

ــ قتل دى ماركو الليلة .

نطق روس بهذه الكلمات فى صوت مكتوم ، ولكننى احسست بعضلات معدتى تتوتر وقلت :

ــ كيف ؟

ــ انهم أبلغونى بذلك منذ خمس دقائق فقط ... انزلقت سيارته واصطدمت بحاجز منتزه وست ريفر ثم وقعت فى النهر وتحطمت فى نحو الساعة الحادية عشرة ، وقد مات على الفور .

قلت فى بطء :

ــ ان ويفر سيمثل امام هيئة المحلفين اليوم ... انه محظوظ .

صاح روس :

ــ بل انه أكثر من محظوظ . ولهذا أريد أن تتقصى الأمــــر .

ــ هل تظن انه ليس حادثا وقع قضاء وقدرا ؟

ــ اريد أن أتأكد انه حادث . ان رقيبا يدعى بيكيت ينتمى الى قسم الجنايات موجود هناك ، فامض اليه وابق معه الى أن يتحدد سبب الموت .

ــ كان من عادة دى ماركو أن يعمــــل حتى وقت متأخر ، فمن المحتمل أن يكون قد أخذته سنة من النوم وهو يقود سيارته .

صاح فى غضب تعذر عليه أن يكبته :

ــ لا اريد كلمة محتمل هذه بحق الشيطان ... اريد حقائق .

والقى السماعة مكانها فى حركة جافة ، فأعــــدت سماعتى فى رفق . وكان كيربى روس قد سعى الى وظيفة النائب العام مقدما برنامجا للاصلاح، وظفر بها بمعجزة . وكان يتمتع بفتنة خاصة وسحر كبير ، وكان الناس يصدقون ما يقول . كان طويل القامة ، متين البناء ، وسيم الوجه ، وخط المشيب شعر فوديه ، ويبدو من مظهره انه مكافح . ولكن ما أن يعرفه الناس على حقيقته حتى ينسوا مظاهره ويرونه كما هو ... مغرور جدا ومتعجرف وطموح ، لا يتردد عن استغلال الغير فى سبيل منفعته .

على اننى لم أعتبر هذه السمة الأخيرة نقطة سوداء ضده لأنه حاول بكل شرف وأمانة أن يطهر المدينة ،

فزود مكتبه برجال مخلصين أوفياء لعملهم ، كالقاضى المساعد دى ماركو ، فقد كان كرة من النشاط ، وعلى جانب كبير من الكفاءة والمقدرة . وربما كان روس هو النائب العام ، ولكن دى ماركو هو الذى كان يقوم بالعمل كله . وقد حملنى روس بعد ذلك على مغادرة مكتب المباحث الجنائية لكى أعمل محققا رئيسيا له ، ومنذ ذلك الوقت لم نقف مكتوفى الأيدى .

ولكننا لم ننظف المدينة تماما ، وما كان فى مقدور احد أن يفعل ذلك فى غضون ثلاث سنوات ، هــذا الى جانب أن كل الادارة كانت ترفض التعاون معنا ، فان بعض الحيتان الكبيرة مرت من عيون الشبكة ومن بينها العمدة الذى عاش على أثر انتخابه عيشة فوق مستواه بكثير . واستطيع أن أؤكد كذلك أن هناك مستشارين كثيرين على استعداد لاقتراح وتقديم قوانين فى صالح اية جماعة غاصبة نظير مبلغ من المال . وكان هناك أيضا بعض رؤساء أقسام يمنحون عقودا مربحــة ، ولا هم لهم نظير ذلك الا شيئا واحدا هو الحصول على عمــولة .

وكان يتفق لى أن أتساءل فى بعض الأحيان اذا كان هناك رجل واحد شريف فى كل الادارة ، فقد كان المال سهلا ، وكان له سحر لا يقاوم ، خصوصا اذا أدركنا أن كل امرىء كان يعرف أن جميع المحيطين به يحصلون على المال دون أى وازع من ضمير .

وكان علينا أن نقاوم ، كذلك ، قوى خارجية كثيرة ، كان أشدها بأسا وقوة مؤسسة كارلتون ويفر ، وهو صاحب شركة للمقاولات كان يستخدمها كواجهة لأعماله غير المشروعة ، ويجنى الجزء الأكبر من أرباحه من

تجارة المخدرات والبناء وممارسة القمار ، ولكن أحدا لم يستطع ان يقبض عليه متلبسا ابدا .

ومع ذلك فقد بدا أن دى ماركو استطاع أخيرا ان يحرجه فى بعض أعماله ، ولكن من ناحية الشكليات بالذات ، فقد استدعاه للادلاء بشهادته فى قضية اختلاس فى احدى عمليات البناء لمبالغ تقدر بعدة ملايين من الدولارات ، ولكن ويفر رفض الحضور . ولما كان هذا الرفض عملا يعاقب عليه قانونا فقد عرض عليه دى ماركو أن لا يقدمه للمحاكمة اذا هو غير رأيه . ولكن ويفر أصر على الرفض ، وكان هذا ما أراده دى ماركو بالذات فدعاه للمثول أمام هيئة المحلفين الكبرى لرفضه الادلاء بشهادته . وكانت الهيئة مستعدة لكى تمنحه فرصة أخيرة طبعا ، ولكن اذا أصر ويفر على الرفض ، فان من حق القاضى عندئذ أن يحكم عليه بأقصى العقوبة ، وهى السجن لمدة سنتين . وكان هذا شيئا تافها بالطبع بالنسبة لنشاطه الاجرامى ولكنه كان شيئا على كل حال . غير أن دى ماركو مات لسوء الحظ ، وأصبحت الدعوى معرضة للسقوط أو للتأجيل على الأقل ريثما يتناول الملف شخص آخر ، وما كان لأحد أن يفعل ذلك غير روس .

وفتحت الدولاب وأخرجت منه ثيابا ثقيلة ، فقد اجتاحت المدينة قبل ذلك بأيام عاصفة ثلجية تبعتها موجة من البرد الشديد ، ومنذ ذلك الوقت والشوارع لاتزال مملوءة بالثلج الذى يذوب الى النصف نهارا ويتحول الى صقيع ليلا . ولم يكن هناك أى شك فى أن الطقس كان قارسا جدا فى تلك الليلة بجوار النهر .

واستطعت أن أكتشف مكان الحادث بسهولة ، فقد كانت هناك مصابيح وأنوار وامضة صفراء تحول

المرور الى خط واحد . وتوقفت سيارات البوليس ورافعة ضخمة فى جانب من الطريق ، وأضاءت الكشافات مكان الحادث . ولو أن المصاب كان شخصا آخر غير دى ماركو لأجلوا كل شىء حتى يطلع الصباح .

ورفعت ياقة معطفى فوق أذنى واخرجت شارتى البوليسية للشرطى الحارس ، ثم هبطت الجرف ، حيث كان بعض الرجال منهمكين حول سيارة محطمة . وعلى الرغم من سطحها ومقدمتها التالفتين فقد ظلت سيارة دى ماركو محتفظة بهيكلها الأصيل .

وتقدمت نحو رجل قصير ، يرتدى معطفا ويدير العمليات وقلت :

ــ لم أرك منذ وقت طويل يا بيكيت .

اجابنى وهو يبتسم :

ــ كنت أعرف انك ستأتى يا جاك : فقد كان دى ماركو زميلا لك . هل أيقظك روس من النوم ؟

وتحركت كتفاه تحت معطفه الثقيل وأردف يقول :

ــ يبدو أنه فقد السيطرة على سيارته عند المنحنى فهوت من عل . وقد عرفنا ذلك من شاهد كان آتيا من الناحية المضادة ، وكاد دى ماركو أن يصطدم به . ويبدو أنه كانت هناك سيارة أخرى منطلقة خلف سيارة دى ماركو ، من طراز أولد زموبيل أو كاديلاك ، فان الشاهد لا يعرف ذلك بالضبط ، وكل ما يستطيع قوله هو أنها كانت داكنة اللون ، ولم يتوقف سائقها ، وأظن أنه لم يشأ أن يورط نفسه .

وصاح أحد رجال فرقة الانقاذ ، ثم هز ذراعه . وازداد صوت المحرك دويا وتوتر الكابل ثم راحت العربة المهشمة تتحرك . ولم تلبث أن وقفت على

عجلاتها ، وبدأت تصعد المنحدر . وكانت أشبه بوحش مشوه محدودب يحاول الاستقرار على الأرض الصلبة.
وقال بيكيت :
ــ يسرنى أننا استطعنا أن نجــرها ونرفعها . ستكون فى الجاراج بعد نصف ساعة ، وسنستطيع أن نفحصها عندئذ كما نريد . هل لك أن تلتقى بى هناك ؟
ــ لا تحاول أن تتخلص منى فلن اتركك لحظــة واحــدة .
وجاراج البوليس يقع فى آخر المدينة أمام الشاطىء، وهو عبارة عن سلسلة متتالية من مقابر السيارات . وأوقفت سيارتى خلف سيارة بيكيت ثم تبعتــه الى المكتب ، وهناك نضوبت عنى معطفى وتمطيت وقــد التهب وجهى بالدفء بعد أن لفحته ريح النهر .
ورفع بيكيت صدريته الصوف الثالثة من فوق رأسه وقال وهو يبتسم :
ــ وقع لى هذا الأمر مرارا ، بحيث أصبحت أعرف كيف يجب أن أرتدى ثيابى .
هل تريد فنجانا من القهوة ؟
ــ اننى لا أرفض القهوة أبدا ؟
صب بيكيت فنجانين من القهوة الساخنة وقال :
ــ من سيأتى بدل دى ماركو ؟
ــ لا أحــــد .
لم يكن قولى هذا مزحة ، فقد كان روس الرئيس الأكبر ، ولكننى قمت أنا ودى ماركو بكل العمــل ، ولا أظن أن هناك من يحل محل دى ماركو .
وزادت الضوضاء فى الجاراج فجأة لأن الرافعــة أقبلت . وألقى بيكيت فنجانه وقال :

ــ من الأوفق أن أمضى لمساعدتهم فى وضع السيارة على الجسر الرافع لن أجد شيئا ولكن يجب أن ألقى نظرة لأن روس يصر على ذلك .

احتسيت قهوتى فى هدوء وأنا أفكر فى دى ماركو وروس وويفر . فقد اختلطت حياتنا منذ بعض الوقت بحيث أن موت أحدنا لا يحل الروابط التى تجمع بيننا ، بل يزيدنا قوة وارتباطا .

وعندما فرغت من احتساء القهوة مضيت لكى أنضم الى بيكيت ، وكان قد ارتدى عفريتة بيضاء وراح يفحص الجزء السفلى من السيارة ، وفى احدى يديه مصباح كهربى ، وفى اليد الأخرى مفك .

وقلت :

ــ كنت أظن أن هذا العمل من اختصاص ميكانيكى .

ــ هو ذلك فى العادة ، ولكن ليس هذه المرة .. لا أريد أن يفاجئنى روس بأسئلة غير متوقعة .

وارتد الى الخلف قبل أن يقول :

ــ الأمر كما فكرت تماما . ليس هناك ما يثير الشبهة فى السيارة ، فان محاور العجلات والفرامل واسطوانة الانفلات .. كل هذا على ما يرام .

ــ هل أنت واثق ؟

ــ بل اننى مستعد أن أقسم على ذلك . ومعنى هذا أن العيب من ناحية السائق . ان دى ماركو لم يكن عضوا فى جمعية تحريم الخمور ، وكان الوقت متأخرا ، ولعله شرب بضعة كئوس . وسيثبت لنا التشريح ذلك .

ورأيت أن لا فائدة من المناقشة فى هذا الموضوع وسألته :

ـ هل فحصت داخل السيارة ؟
ـ ليس بعـد .

وانزل الجسر الرافع وهو يضغط على زرار وفتح الباب المجاور للراكب مستعملا قضـيبا رافعا ، ثم تسلل الى الداخل وبيده مصباحه . ودخلت أنا من الباب الآخـر .

كانت ألواح السيارة الزجاجية قد تحطمت وتناثرت كلها شظايا صغيرة فى أرضية السيارة . وأدار بيكيت ضوء مصباحه فى المقدمة والمؤخرة فى بطء . لم يكن هناك شىء غير عادى فى الظاهر ، ولكن لم يلبث أن وقع الضوء فجأة على السجادة بأرضية المقدمة ، ورأيت شيئا التقطته بعناية ورحت أديره فى بطء تحت ضوء مصباح بيكيت . كان عبارة عن قطعة من الزجاج رفيعة ومحدودبة .

وقال :

ـ ليست هذه القطعة من زجاج السيارة . لا ريب انها لقنينة كانت مع دى ماركو .

ـ يجب أن يكون هناك غيرها اذن .

وفتشنا الأرضية . ووجدنا بالفعل أجزاء أخرى ، وضعناها فوق المقعد الدامى . كان يبدو انها لقارورة صغيرة قطرها نحو سنتيمتر واحد وطولها نحو ستة سنتيمترات .

وقلت :

ـ عجبا ؟... ما مكانها فى هذه السيارة ؟

زمجر بيكيت قائلا :

ـ ليس لها أى مكان هنا .

ـ ربما وضعها دى ماركو بجواره .

ـ لا أظن ذلك ، فهى قارورة صغيرة جدا وكان يجب أن تكون فى جيبه .

ودس مصباحه تحت لوحة القيادة وزمجر بعد بضع لحظات قائلا :

ـ هناك قطعة من السلك فوق جهاز التهوية وليس هناك أى سبب لوجودها .

وراح يعالج اللوحة بمفكه لحظة ثم سمعت شيئا يقع . واستخلص بيكيت بعد ذلك صندوقا من البلاستيك طوله نحو اثنين وعشرين سنتيمترا وعرضه خمسة سنتيمترات عرفت فيه الحارف . ووقعت من الصندوق حلقة صغيرة مترنزة طولها نحو عشرة سنتيمترات وارتفاعها نحو ثمانية . كانت أشبه براديو صغير ، فحصها بيكيت بعناية كبيرة دون أن يلمسها مكتفيا بمعالجتها بالمفك الذى فى يده ثم قال أخيرا :

ـ هل تفهم الآن كيف مات دى ماركو ؟

ـ لا أفهم شيئا على الاطلاق .

قال وهو يشير بالمفك :

ـ كانت القارورة ملتئمة بتوائم التثبيت . ونصفها العلوى ما زال سليما .

ونقل المفك وقال :

ـ هذا الغاطس الذى تراه تحت ، مثبت بملف اولبى وموصول من ناحية المركم بطريقة تسمح بتجميع كل التيار الضرورى . وما أن يقع التماس حتى يتحرك المفك اللولبى تلقائياويحرك بدوره الساق فتتحطم القارورة . وقد وضعت هذه الحلقة لهذا الغرض بالذات فان الملف اللولبى يتحرك عند أقل اشارة تصدر من جهاز للارسال .

ـ جهاز ارسال :

ــ ولم يكن يبعـــد كثيرا .. نحو مائتى مـــتر على الأكثر .

ــ الا يحتمل انه كان موجودا فى السيارة التى كانت خلف دى ماركو ؟

ــ هذا محتمل جدا .

ــ هل افهم من هذا ان القارورة حررت شيئا قتلته ؟

ــ لم يكن ضروريا أن تحتوى على شىء أو على مادة قاتلة . كان يكفى أن يفقد دى ماركو السيطرة على سيارته عند المنحنى ، وأكاد أميل الى أن نوعا من الغاز تسرب وتبخر فى الهواء لأنه كان من المتوقع ان يعمـــل جهاز التدفئة فى مثل هذه الليلة الباردة .

ــ مخدر ؟ .. غاز للأعصاب ؟

خرج بيكيت من السيارة وقال :

ــ انني اترك لك الخيار ، وعلى كل حال فان المعمل سيخبرنا بذلك . سوف لا نلمس شيئا ولن يلبث رجال مكتب الجنايات أن يأتوا . وأنا شخصيا أرى أن هذه طريقة خادعة للقتل ، فانني تعودت حتى الآن أن أجد الديناميت تحت غطاء السيارة أو اتلاف الفرامل ، فلابد من خيال كبير ومال وفير لتدبير هذه الخدعة .. تماما كما يحدث فى روايات الجاسوسية .

قلت : هذا أمر معقد بعض الشىء طبعا .

ــ ليس تماما اذا نحن أمعنا الروية والتفكير ، واذا فكرنا فى كل ما يستطاع عمله اليوم . فانّ من الممكن تعشيق تماس عن طريق الصوت فحسب وارسال محطة الى القمة وتحريكها أو ايقافهـــا على المراد . بل من الممكن فتح باب جاراج دون أن نمسه باستعمال جهاز ارسال ، وعلى هذا فان تحطيم قارورة ليس بالعمل السحرى . ولكن هذا يدل على أن العقل الذى فكر فى

هذه الخطة عقل جبار ، فقد أوشك أن يفلح فى ارتكاب جريمة قتل مثالية لأننى لا أفتش فى الوقت العادى فى داخل السيارات التى يقع لهـــا حادث الا للبحث عن زجاجات الخمر .

وهز رأسه وأردف يقول مختتما :

ــ وان لمن الفظاعة أن نجد مثل هذه الطرق المعقدة لقتل النفس .

وكان على حق ، فقد كان لابد من عقل جبار لاستيعاب مثل هذه الخطة .

وارتقت شكوكى الى ويفر على الفور فانه لم يكن يفتقر الى الوسائل ، ولا ريب أن الصـــعوبة الوحيدة التى صادفته هى كيفية اهتدائه الى الرجل الذى استطاع أن يرسم هذه الطريقة ويمسك لسانه فى نفس الوقت ، فان مثل هذا الرجل يتعذر وجوده .

وتبعت بيكيت حتى مكتبه ، وهناك سألنى :

ــ هل تريد الاتصال بروس ؟

نظرت الى ساعتى . كانت تشير الى الخامســـة والنصف . وقلت :

ــ ليس الآن . سأتركه ينام فى هدوء بضع ساعات أخرى . ستصيبه هذه القضية بصدمة عنيفة ، وسيكون بحاجة الى كل أعصابه لكى يتلقاها . ثم اننى أريد أن أتحقق من شىء قبل ذلك .

ــ هل يمكننى أن أساعدك ؟؟

ارتديت معطفى وقلت :

ــ اطلع رجال الجنايات على كل تفاصيل الجريمة ، ثم اذكر لهم اننى سأتصل بهم . شكرا لك .

وفى الخارج كانت الخيوط السوداء قد بدأت تتراجع أمام الخيوط البيضاء . ولكن البرد كان قارسا كما كان

على الرغم من أن الريح كانت قد هدأت . واذ دخلت سيارتى أحسست كأننى داخل ثلاجة ، فأدرت المحرك لأعجل وصول الهواء الساخن الى جهاز التدفئة بينما راحت أنفاسى تغطى زجاج السيارة بالبخار .

ومضيت صوب المدينة . كانت معرفة بيكيت الفنية قد دلتنى على الطريقة التى لقى بها دى ماركو مصرعه، ولكن تجربتى الخاصة همست لى باسم الرجل الذى صمم آلة القتل ، ويعرف المجرمين الذين خططوا لها فى نفس الوقت . كان هذا الرجل يدعى كلينت برازيل ، وقد أصبح الان متقدما فى السن ، ولكنه من الناحية العملية كان لا يزال خبيرا ومتخصصا فى الأجهزة الالكترونية . وكان يشتغل لكل من يستطيع أن يدفع له ، سواء كان فى صف القانون أم لا . واذا حدث ولم يجد الجهاز المطلوب فى مخزنه فانه كان يبتكره . ومعنى هذا أنه كان من المحتمل تماما أنه هو الذى ابتكر الجهاز الذى قتل دى ماركو .

وانطلقت على مهل بسبب الجليد ، ولكننى توقفت فجأة وفى عنف وأنا أرى سيارات البوليس وعربة الاسعاف التى تقف أمام المحل . وهبطت من السيارة ومضيت الى المدخل . واعترض أحد الشرطة طريقى ، ولكننى أبرزت له شارتى وسألته :

ـ ما الذى حدث ؟

ـ قتل صاحب المحل ، وهو رجل مسن .

وكنت قد تلقيت دروسى فى كلية البوليس أنا وسوكولسكى معا ، والتحقنا بنفس القسم . ورأيته فى الداخل يراقب الممرض الذى يشرف على رجال الاسعاف . وكان متين الجسم ومشهورا بافتقاره الى الخيال ، ولم يكن

يتوقع النتائج المحتملة ابدا ، ولا يتصرف أو يتحرك الا اذا كان واثقا جدا .

كان واقفا فى مكان ضيق أعد لكى يكون مكتبا ،يفصله عن باقى المحل حاجز من الزجاج ارتفاعه نحو متر تقريبا ويضم مكتبين وبعض الرفوف التى صفت فوقها أعداد من الصناديق الصغيرة البراقة الألوان . وخلف المكتبتين باب مفتوح يكشف عن ورشة بها بعض المقاعد والأدوات والاجهزة المعقدة .

وقال المرض : — هل استطيع ان أنقل الجثة ؟

وقال سوكولسكى مرددا : — هل يستطيع أن ينقل الجثة ؟

ورآنى عندئذ فأردف يقول : — هل اتيت لكى تتدفأ ؟

— كلا . وانما أريد أن اتحقق من شىء .

— لقد أطلق أحد الأشقياء رصاصتين على برازيل من مسدس عيار ٣٨ فى نحو منتصف الليل .

— ومن الذى اكتشفه ؟

— مرت احدي سيارات البوليس مرتين ، وكان النور مضاء فى كل مرة . وأثار ذلك دهشة راكبيها فتوقفا للتحقق . وكان البــاب مفتوحا فدخــلا ، وعثرا على العجوز ، ولولا ذلك لبقيت الجثة الى مالا نهاية دون أن يدرى أحد .

كان من الواضح أن الرجل الذى صنع له برازيل آلة الموت عاد لكى يمنعه من الكلام الى الأبد . ولكن لماذا لم يفعل ذلك عندما جاء واخذ الالة بحق الشيطان ؟ .. ولكن ما أغبانى ! .. ما كان برازيل ليحصل على أجره الا بعد نجاح العملية ، وقد حصل على أجره فعلا ، وهو عبارة عن رصاصتين .

وسألت سوكولسكى :

ــ هل هناك ما تخبرنى به غير ذلك ؟

ــ اننا لم نبدأ الا منذ لحظات فقط ، وعليك أنت أن تتكلم . ما الذى اتى بك ؟

أخذته على حدة ، ورويت له كل ما حدث لدى ماركو . وبعد أن فرغت ، حك سوكولسكى ذقنه فى تفكير ثم قال :

ــ هذا أمر عجيب من الصعب تصديقه .

ــ ربما لك أنت ، أما فيما يتعلق بى فان له معناه . ولهذا السبب اريد ان يغلق هــذا المكان جيدا الى أن نكتشف العلاقة بين آلة الموت والمحل .

وافهم ما سأقول لك الان جيدا . ان الذى قتل دى ماركو قتل برازيل كذلك . وويفر هو المشبوه رقم ١ .

ــ هل تنوى القبض عليه ؟

ــ هذا عمل روس . سأراه الآن ، وسوف يتصل بك . ركز كل جهودك على ما لديك هنا . ولكننى لن القنك مهنتك على كل حال .

ــ مهما يكن فلابد لى من الرجوع الى النقيب . لا ريب أن بيكيت قد كلمه فى التليفون واخبره بما حدث لدى ماركو .

ــ لو كنت مكانه لتركتك تهتم بالجريمتين . قل له أن روس يهتم بهما شخصيا .

ــ أين أستطيع الاتصال بك ؟

ــ فى مكتبى فيما بعد . ومهما يكن فسوف أتصل أنا بك . ولكن حان الوقت الان لكى أذهب وأخبر روس بما حدث .

* * *

وفى الخارج كانت الشوارع قد امتلأت بالناس الذين

تتطلب منهم مهنتهم النهوض مبكرين كل صباح لكى يبعثوا الحركة الى المدينة .

كان روس يقيم فى حى عصرى ، وكان يسكن بيتا مكونا من طابقين وحديقة ، تحيط به بيوت فخمة . وقد تساءلت مرارا كيف استطاع الحصول عليه فان وكلاء النيابة لا يربحون مايكفى من النقود لذلك الترف . ولكن المعروف عن روس أنه ترافع من قبل فى عديد القضايا الكبيرة ، وان زوجته سليلة أسرة من أعرق الأسر فى المدينة .

وأوقفت سيارتى ، وصعدت الدرجات الأمامية للبيت ، وضغطت على جرس الباب . وجاء روس وفتح لى بنفسه وهو بالقميص ومن غير ربطة العنق والجريدة فى يده . واستقبلنى قائلا :

ـــ كنت أنتظر مكالمة تليفونية منك .

وسبقنى الى غرفة الطعام ، وعرض على أن أشاركه افطاره ، ولكننى هززت راسى ، فطالما لم أفرغ من هذه القضية ، فلن أشعر بأية قابلية للطعام ، وقلت :

ـــ انصحك أن تجلس فانك لن تصدق ما سوف اقول .

ـــ هل قتل ماركو ؟

ـــ لا أعنى هذا فحسب ، وانما أعنى الطريقة التى قتل بها .

وشرحت له الأمر بالتفصيل وهو يحتسى قهوته . وقال :

ـــ كيف اكتشفت الآلة ؟

ـــ من المتعذر اخفاء شىء عن انتباه بيكيت .

ولكننى لم أقل له اننى أنا الذى أوحيت بفكرة تفتيش العربة .

ـ لقد حالفكما الحظ ، فما كان فى مقدوره أن يشك فى هذه الخدعة . وأين هذه الآلة الآن ؟

ـ فى المعمل طبعا .

ـ لابد لى من صور وتقرير واف . لم تستخدم هذه الطريقة فى القتل قبل ذلك بقدر ما أعرف . وستجد صعوبة كبيرة فى اقناع هيئة المحلفين بأنها أداة الجريمة هذا اذا استطعنا أن نبلغ هذه المرحلة .

ـ ان الذى أعدها كان يتوقع ذلك .

ـ اننى أترك القضية كلها بين يديك ، ويمكنك أن تتعاون مع القسم الجنائى .

ـ لعل هذه هى الفرصة التى تنتظرها للقبض على ويفر .

أجاب وهو يهز رأسه :

ـ لا أظن ذلك .. لابد انه دبر امره .

أثارنى عدم اهتمامه بويفر هكذا فجأة ، وبدا كما لو انه نحى الجريمتين ، وكما لو انه لن يستخلص منهما شيئا . ولعله كان على حق ، وربما انتهت بنا قصة هاتين الجريمتين الى طريق مسدود . وكانت لروس موهبة كبيرة فى تحليل الأمور والمضى قدما فى الطريق الذى يبدو له أهم من غيره .

وفتح فمه لكى يتكلم عندما اقبلت زوجته فجأة ، فأمسك عن ذلك على الفور . ووقفت لكى أحييها .

كانت هارييت تصغره بنحو خمسة عشر عاما على الأقل . وكانت طويلة القامة . شقراء ، ناعمة البشرة ، ذات عينين سوداوين ، ووجه بيضاوى جميل . وعندما رأتنى اغتصبت ابتسامة . وكانت ترتدى ثوبا منزليا يكسوها حتى ذقنها ويخفى تحته جسدا كنت أعرف أن أكثر النساء تغبطها عليه .

وكانت ظريفة ومهذبة دائما . ومع ذلك فقد تصرفت كما لو أنه كان يشق عليها أن تتقبل وجودى قالت فى لهجة عتاب :
ــ انك مبكر جدا يا مستر كوشرين .
قلت : ولكننى لا أعمل وفق مواعيد ثابتة ياسيدتى .
ولم أجد داعيا لبقائى فأردفت أقول مخاطبا روس :
ــ سوف أراك فى المكتب .
أجاب : هو ذلك . لا دآعى لأن أذكر لك مشاعرى الخاصة بسبب ما حــدث لدى ماركو . ولكننى أريد قاتله .
ــ أظن أنك ســتدلى ببيــان بخصوص موته .. سيسارع الصحفيون الى المكتب .
هز رأسه فى قوة وقال :
ــ لن أدلى بأى بيان . سنحتفظ بما نعرف لأنفسنا فى الوقت الحالى ، وسأحرص على أن لا تتسرب أية معلومات الى القسم الجنائى .
قلت لنفسى وأنا أخرج الى الجو البارد :
ــ انه اختار أفضل وسيلة للعمل وان هذا ليس من شيمته : فهو عادة ينتهز أقل فرصــة لكى يعلن عن نفسه .
ولم أجد أحدا بالمكتب عندما بلغته . وقضيت فترة فى العمل قبل أن أتصل بسوكولسكى وسألته :
ــ هل من جديد ؟
ــ دع لنا الوقت الكافى . اننا بدأنا نجمع جهودنا . ان بيكيت هنا ، ونحن فى انتظارك . وقد نثرنا المسحوق فوق المبراد والالة للحصول على البصمات . وقد جمع المعمل قطع الزجاج المكسورة وعثرنا على بصمة ، وهى ليست شيئا كبيرا طبعا ، ولن تأخذ المحكمة بها ولكن

قد نستطيع التعرف على صاحبها . وربما ارسلنا الملف الى البوليس الفيدرالى .

ــ هل اكتشفت علاقة ما بين الالة ومحل برازيل ؟

ــ اننا نهتم بذلك فى الوقت الحالى . والظاهر أن من الممكن الحصول على أجزاء الالة فى كل مكان ، فليس فيها أى شيء غريب .

ــ هل لدى المعمل فكرة معينة عما كانت تحتويه القارورة ؟

ــ لم يبق فيها ما يكفى للتحقق من ذلك . وفى هذه اللحظة بالذات يجلس رجال المعمــل وأمامهم الكتب الطبية ، ويحاولون الاهتداء الى المادة التى استخدمت هل تعرف كم نوع يوجد من الغازات ؟

ــ ليست عندى اية فكرة .

ــ انهم ذكروا أكثر من اثنى عشر نوعا ، ولا أظن انهم سيتوصلون الى معرفة النوع الذى استخدم .

ــ اما أنا فاننى واثق من العكس :

ألقيت السماعة .. ان وجود بصمة على الالة ليس لها أى معنى فى عملية دبرت بكل ذكاء ، ومما لا ريب فيه أن أحدا قد ارتكب غلطة .

وبدأ الموظفون يتوافدون .. الكتبة ووكلاء النيــابة والسكرتيرات والمساعد الثانى للنائب العام . وقــد ارتسمت على وجه الأخير امارات التأثر الشديد بسبب وفاة دى ماركو . والتفوا فى جماعات صغيرة ، والقوا على الأســئلة ، لأنهم كانوا يعتقدون جميعا انه لقى حتفه قضاء وقدرا . وقد رأيت أن لا أردهم عن هــذا الاعتقاد .

ولــكن أسئلتهم ازدادت اصرارا وتحــديدا ومعاناة للاعصاب ، بحيث اضطررت الى الفرار لكى استريح .

ورحت أمشي في خطوات كبيرة والهواء القارس يكنس الشوارع في نفس اللحظة التي دقت فيها ساعة البرج تشير الى التاسعة . واجتزت الميدان ، وتجاوزت موقف سيارات الأجرة الذي يقع في مكان منه عندما دوى صوت بوق حاد . وناداني أحد السائقين وفتح بابه ، ودار حول عربته في حرص وحذر بسبب الثلج ثم تقدم نحوي مقطب الوجه وقال :

ــ يسرني أنني التقيت بك يا كوشرين . انني جد حزين بسبب دي ماركو .

أومأت برأسي . كان من أسباب نجاحنا ، أنا ودي ماركو ، اننا كنا نلجأ في بعض الأحيان الى ليني بريكز وزملائه ، فان سائقي السيارات يرون كل شيء تقريبا وهم يدورون بالمدينة دون أن يفطن اليهم أحد ، لأنهم جزء مألوف من الديكور . وكان ليني يزودنا بمجوعة كبيرة من المعلومات الهامة .

ــ كنت أريد أن أسأل دي ماركو اذا كان ما ذكرته له في اليوم السابق قد أفاده في شيء ، ولكنني لن أعرف ذلك أبدا لسوء الحظ .

قلت : ــ هل لك أن تعيد على ما ذكرته له ؟

ضم ليني راحتيه علي صورة قدح . وراح ينفخ فيهما ثم دعكهما في قوة وقال :

ــ انني موافق طبعا . ولكن في داخل السيارة فان البرد شديد ومفاصلي تؤلمني جدا .

جلست في المقعد الخلفي وجلس هو خلف عجلة القيادة ، واستدار لكي ينظر الى واضعا ذراعه فوق المقعد . وكان قصيرا ونحيفا ، يلبس نظارة سميكة جدا بحيث أنني تساءلت أكثر من مرة كيف منحوه رخصة للقيادة . وقال :

ـ اصغ الى . منذ ثلاثة ايام ركب معى راكب أمام النيابة التى تقع فيها مكاتب ويفر ، وكان من هؤلاء الرجال الأقوياء الذين يحاول ويفر ان يجعلهم يبدون كما لو كانوا من رجال الأعمال . وكنت اعرف أنه يعمل معه ، لأننى رايته كثيرا فى تلك الناحية . وأعترف بأنهم يمنحوننى بقشيشا كبيرا . صفوة القول . هل تعرف اين طلب منى أن اذهب به ؟

ـ كلا .

ـ الى الباجورة اليابانية فى المنتزه ، وهو مكان لا يذهب اليه احد عادة فى الشتاء . وقد أدهشنى ذلك ، ولكننى لم أحفل طالما أنه سيدفع لى اجر الرحلة . وقد مضيت به هناك . ولم يكن فى المكان غير رجل وزوجته كان يبدو أنهما من السياح وامرأة ذات شعر أسمر . وقد طلب منى أن انتظره ، ومضى اليها وتحدث معها لحظة ، ثم أعطاها مظروفا وعاد الى السيارة حيث طلب منى أن اعود به الى المدينة ، وبدت لى رأس المرأة مألوفة لدى ولكننى لم أستطع ان اتذكر من هى .

ولمس زجاج نظارته كما لو كان يعتذر ثم أردف :

ـ ولعل هذا بسبب هذه . ومهما يكن . وبينما كنت انطلق فى شارع شستنوت بعد ساعة ، رأيتها تخرج من البنك . وكنت قريبا منها فى تلك اللحظة ، وخيل لى اننى عرفت فيها زوجة النائب العام ، ولكننى لم أكن واثقا ، لأننى كنت أعرف أنها شقراء . وبعد ساعتين أوقفنى دى ماركو امام دار البلدية ، فانتهزت الفرصة وحدثته عن ذلك . وطلب منى عندئذ ان لا اذكر لأحد كلمة عن الأمر الى أن يتصل بى ، ولكنه مات قبل أن يفعل للأسف .

ولم يهمنى من قصة لينى الطويلة غير واحد وهو ان ما شهده كان يشبه الى حد بعيد قصة من قصص الرشاوى ، وقال يخاطبنى :

ــ أرى على وجهك تعبيرا غريبا ، فهل تدور برأسك فكرة ما ؟

ــ نعم . وسوف نتحقق منها على الفور . امض بى الى الجريدة .

* * *

وقضيت نصف ساعة فى الجريدة اكتشفت فيها صورة لهارميت روس سبق ان ظهرت فى أخبار المجتمعات . وكانت صورة واضحة تظهرها وقد صففت شعرها الى الخلف بحيث لم يكن يهم أن تكون شقراء أو سمراء . وعرضتها على لينى وسألته :

ــ أهذه هى المرأة التى رايتها ؟

ــ نعم . واننى واثق من ذلك .

ــ حسنا . هلم بنا الى البنك اذن .

ولم الق اى نجاح فى بادىء الأمر مع أوائل الموظفين الذين عرضت عليهم الصورة ، ولكن الحظ ابتسم لى أخيرا فى قلم صناديق الودائع الخاصة ، فما أن ألقى الحارس العجوز ذو الوجه المتغضن نظرة اليها حتى صاح :

ــ انها مسز بيرس .

ــ هل أنت واثق ؟

ــ كل الثقة انها تأتى كثيرا . مرة كل شهر على الأقل . واستطيع أن اتحقق من بطاقتها اذا أردت .

ــ ارجوك أن تفعل .

وكانت البطاقة المذكورة تشير فعلا الى أن المرأة

الشابة جاءت الى البنك مرة كل شهر منذ ستة شهور . وكانت تحمل توقيع صاحبة الصندوق : هـ . بيرس بخط ثابت وواضح .

ــ أريد صورة فوتوكوبيامن هذه البطاقة .

ــ لست أدرى اذا كان هذا ممكنا .

ــ انه ممكن تماما . واريد أن تلتزم الصمت بخصوص زيارتى . اذا القى عليك احد اية اسئلة فأجب بأنك لم ترنى ابدا .

ومشى وهو يتأرجح الى آلة التصوير وعاد بعد قليل ومعه صورة فوتوغرافية من البطاقة وضعتها فى جيبى مع الصورة . وقال .

ــ اظن أنك تقوم بتحقيق رسمى .

ــ هو ذلك .

وتتابعت الأحداث كما كنت أتوقع ، فعندما خرجت وجدت سيارة لينى واقفة أمام البنك ، وخلفها صف آخر من السيارات ، غير الصف المسموح به ، وأحد رجال شرطة المرور ينظر اليه شزرا . وابتدرنى السائق سائلا :

ــ هل هى زوجة النائب العام ؟

انس كل هذه القصة يا لينى ... مالم أطلب منك أنا شخصيا أن تتذكريها .

ــ حسنا . مادمت تطلب منى ذلك . اين أذهب بك الآن ؟

ــ الى قسم البوليس .

وهبطت أمام القسم وأخذت المصعد ، وصعدت الى قلم البصمات بالطابق الثالث . ولم يبد همفرى ، المسئول بالقسم تحمسا لرؤيتى وقال :

ــ أظن انك قادم من أجل البصمة ؟

ــ لا يمكن أن أخفى عنك شيئا . هل اكتشفت صاحبها ؟

ــ انها ليست واضحة ، ولابد لنا من بعض الوقت.

ــ واذآ زودتك بمعلومة سرية فهل تفيدك ؟

ــ طبعــا .

انحنيت فوق مكتبه . وكتبت كلمة «روس» فى دفتره . وكان يهم باخراج سيجارة من علبته عندما قرأ الاسم فأخذته الدهشة ، ووقعت العلبة من يده وقال :

ــ هل تمزح ؟

ــ ليس فى موقف كهذا .

ــ لابد لى من بضع دقائق لكى اتحقق .

والتقط علبة السجائر واخرج منها سيجارة فى شىء من المشقة فى حين قلت :

ــ سأنتظر .

ــ أظن انك تعرف ما تفعل .

ــ كلا . اننى لا أعرف أبدا ... وانما اتصرف ، ويحدث أن تأتى الأمور كما أريد .

ورفعت قدمى فوق المكتب واسترخيت بعض الشىء ... واحسست بتعبى يزول تماما على الرغم من اننى لم انم بالأمس . ولا ريب أن الأدرينالين يقوم بدوره جيدا . ورحت أفكر فى هدوء وقد أحسست بالارتياح لقرب النتيجة .

وسرعان ما اقبل همفري وقال :

ــ انها ليست واضحة تماما .

ــ ماذا تعنى .

ــ أعنى أن البصمة ليست كاملة كما يجب . من المحتمل أن تكون بصمته ومن المحتمل أن تكون بصمة آخر غيره ... لست متأكدا .

ــ بمعنى آخر أن المحكمة لن تعتبرها دليل اتهام ؟

ــ اوه ، كلا . . . حتى اذا أتى روس بمحام غبى جدا للدفاع عنه .

ــ لا أظن ان الأمر سيتطور الى هذا الحد . اذا سألك أحد فقل انك لم ترنى . يجب أن يبقى هذا الأمر سرا بيننا ، ما لم أخبرك بالعكس .

ــ ولكن يجب أن أطلع سوكولسكى على زيارتك مع ذلك .

ــ وما الجدوى من ازعاجه بدون داع . اذا نجحت خطتى فسوف أحدثه أنا نفسى . لو كنت مكانك لأخذت أقلب فى ملف البصمات ، فمن يدرى ؟ . . . ربما وجدت فيه البصـــمة التى تهمنـــا . . . أعنى تلك التى على القارورة . سيستطيع سوكولسكى عندئذ فقط أن يهتم بشىء ملموس .

وتركته وهو يعبث فى علبة سجائره من جديد . ولم أكن قد أضعت وقتى تماما . لم أســـتطع التحقق من البصمة طبعا ، ولكننى وجهت أبحاث همفرى آلى روس ، ولم يكن هذا بشىء سىء .

وفى الشارع أسرعت ورفعت ياقة معطفى قبل أن أمضى الى جاراج دار البلدية ، وهـــو يبعد عن بيتى بضعة أمتار . وكانت سيارة روس الكاديلاك موجودة فى الركن المخصص للسيارات الرسمية والمفاتيح موجودة فى اللوحة .

وعثرت على ما كنت أبحث عنه . . . وهى علبـــة صغيرة سوداء مربعة طولها خمسة عشر سنتيمترا ، وارتفاعها عشرين سنتيمترا مزودة بسارية ذات عدسة وميناء فى المقدمة . كانت أشبه بالجهـــازات الخاصة بالمراقبة وقد رأيت منها الكثير فى محل برازيل ، ولكننى

كنت أعرف أنها ليست كذلك . كانت هى جهاز الارسال الذى فجر الآلة التى كانت موضوعة فى سيارة دى ماركو .

حان الوقت الآن لـــكى أتبادل حـــديثا مع روس . ووجدته فى مكتبه . وكان قد عاد لتوه من المحكمة حيث أجل قضية ويفر . ورفع رأسه فى استياء وقال :

ـــ ليس لدى من الوقت الكثير لكى أكرسه لك الآن يا جاك .

واظن اننى لم اكرهه فى حياتى كما كرهته فى تلك اللحظة . وأغلقت الباب ومضيت الى النافذة التى أمام مكتبه . وجلست نصف جلسة على حافتها بحيث يقع كل الضوء على وجهه بينما يبقى وجهى فى الظلام . وبهذا رأى نفسه مضطرا الى أن يرفع عينيه الى ، وهو وضع جعله يبدو فى موقف دونى . وقلت :

ـــ ومع ذلك فلابد لك أن تجد الوقت لذلك ، فاننى اعرف شخصية قاتل دى ماركو .

هب من مقعده وصاح :

ـــ هل انت واثق ؟

ـــ اننى أعرف عنه ما يكفى لادانته .

ـــ دع لى الحكم فى ذلك ... ما هى الأدلة التى لديك ؟

بسطت له الصورة الفوتوغرافية باسم مسز بيرس . والقى اليها نظرة ثم تركها تقع على مكتبه وقال :

ـــ ما معنى هذا ؟

ـــ هذه بطاقة ايداع فى حساب بصندوق خاص ملك لزوجتك . وهى تمضى الى البنك المذكور مرة كل شهر منذ ستة شهور ، بعد أن تأخذ مظروفا من أحد رجال

ويفر . وقد استأجرت الصندوق باسمها الذى كانت تعرف به وهى فتاة ، وتلبس باروكة سمراء عندما تذهب اليه . وانا واثق أن المحكمة اذا فتحت الصندوق المذكور فسوف تجده مملوءا بالنقد السائل .

ظل وجه روس جامدا . واضطجع فى مقعده الى الخلف وعقد يديه وقال :

ـ لم أكن أعلم بهذا الحساب .

قلت : أن هناك أكثر من ذلك . لقد اكتشفوا بصمة أصبع على القارورة التى استخدمت فى قتل دى ماركو ، ويحتمل أن تكون هذه البصمة بصمتك .

أجاب فى برود :

ـ هذا محال .

ـ اننى وجدت جهاز الارسال الذى استخدم فى تفجير الآلة ، وهو فى الصندوق الخلفى لسيارتك الكاديلاك ، والشاهد الذى شهد الحادث قال أن السيارة التى كانت خلف سيارة دى ماركو سمراء اللون ، وسيارتك بهذا اللون .

ـ ما معنى كل هذا بالضبط ؟

ـ معناه أنك بعث نفسك لويفر ، وانك كلفت زوجتك بأن تذهب وتتسلم الرشاوى . وقد اكتشف دى ماركو ذلك فاضطررت الى قتله . ومهما يكن فانك كنت تنوى أن تقتله ذات يوم لأنه ابدى اهتماما كبيرا بويفر . ولم يكن هذا الأخير يدفع لك لكى يزعجه دى ماركو .

ـ أظن أنك تستطيع أن تثبت اننى قتلت برازيل كذلك .

ـ ان فى مكتبك مسدسا عيار ٣٨ ، وأحب أن يفحصه خبراء الاسلحة .

ابدى روس رباطة جأش كبيرة وقال :

ــ هذه مؤامرة ... محكمة التدبير طبعا ... ولكنها ليست أكثر من مؤامرة .

فحصت تعبيرات وجهه فى عناية كبيرة ، وأعترف اننى ملت الى تصديقه ... فان روس لم يكن قاتلا . كان من الممكن أن يدبر جريمة قتل ، ولكن كان من المستبعد أن يقوم بتنفيذها بنفسه ، فقد كان مثل هذا العمل يبدو غير خليق به . وقلت :

ــ الواقع أن كل شىء محتمل ، ومع ذلك فقد شوهدت زوجتك مع أحد رجال ويفر ، ولم تكن هذه مؤامرة .

ــ كلا . كلا بالطبع .

وبدأ منزعجا وقلقا فى نفس الوقت . وقلت :

ــ ليكن . اريد ان أصدقك بأن هذه مؤامرة مدبرة ضدك . من المحتمل طبعا أن يكون شخص ما قد وضع جهاز الارسال فى سيارتك ، ولكن كيف تفسر قصة زوجتك ؟

ــ فى مقدورها هى ان تفسر لنا ذلك .

ــ يمكننى أن أذهب الى بيتك ، وان آتى بها . ولكن من الاسهل أن نتحدث فى التليفون طبعا .

ــ كلا . سنمضى معا لكى نتحدث معها .

ولم أكن قد واجهت الأمر من هذه الزاوية ، فان المرء عندما يتعرض للرد على استجواب قاضى التحقيق فى مكتب هذا الأخير يشعر بالقلق وعدم الاطمئنان ، أما اذا تم الاستجواب فى بيته ، وبين أهله فانه يشعر دائما باطمئنان تام ومع ذلك فقد قلت بعد تردد يسير :

ــ لا بأس . هلم بنا لكى نفرغ الخراج .

وخرجنا من السلم الخلفى تجنبا للصحفيين الذين كانوا ينتظرون روس فى الردهة . وانطلقنا فى سيارته .

ولم يذكر أحد شيئا عن جهاز الارسال الموجود فى الصندوق الخلفى ، ولكننى كنت أعرف أنه يفكر فيه مثلى تماما .

وعندما وقفنا بالبسطة فتح الباب ، وسبقنى الى الداخل ، ثم أفسح لى الطريق لكى أدخل ، ولكننى ما كدت أتقدم خطوة واحدة حتى انفجرت راسى . ولم أعرف أبدا بماذا ضربنى ، ولكن ساقى خذلتانى وتهاويت واظلمت الدنيا فى وجهى .

وعندما عدت الى نفسى كنت ملقى فوق السجادة ووجهى الى الأرض ، وراسى تؤلمنى أشد الألم ، وحذاء روس اللامع يبرق على بعد بضعة سنتيمترات من وجهى . ورمشت بعينى لكى أتحقق من شخصه الذى تضخم فى هذه المناسبة . وقال :

ــ يؤسفنى اننى اضطررت ان افعل بك هذا .

جلست فى بطء وانا اتمنى ان لا تنفجر راسى . واذ رايته من هذه الزاوية بدا اقل رهبة . وقلت فى صعوبة :

ــ لم تكن مؤامرة مدبرة اذن ؟ . . . وقد قتلت دى ماركو حقا !

ــ كلا . لقد أمر ويفر بقتله هو وبرازيل ، ولا ادرى الى من عهد بهذه المهمة .

ــ وماذا كان دورك فى كل هذا ؟

ــ ان ويفر يدفع لى منذ شهور لكى اتغاضى عن اعماله . وقد فعلت ما استطعت ، ولكن استحال على ان اقنع دى ماركو ان لا يدس انفه . وقد آكتشف أن ويفر يرشونى فجاءنى ، وافلحت فى ان اقنعه بأن يمهلنى بعض الوقت . وقد أخطرت ويفر طبعا فدبر لقتله . وكنت ضد هذا لأننى خشيت أن تتدخل الجرائد وتلقى المزيد من الأسئلة وينتهى الأمر الى تشكيل لجنة لتقصى

الحقائق . ولكن ويفر قال لى انه لا يجب أن أزعج نفسى بذلك ، وانه سيدبر الأمر لكى يبدو انه مات قضاء وقدرا . ومن سوء الحظ انك اكتشفت أنت وتبينت الحقيقة . اننى لم اقدرك حق قدرك يا جاك ، والا ما كلفتك بالتحقيق .

ـ ولكن لماذا وضع ويفر جهاز الارسال فى سيارتك ؟

ـ يخيل لى انه فعل ذلك لسببين . اولهما هو اننى كنت سأحرص على ان لا يفتش أحد سيارتى ، ولكنك سبقتنى ، والثانى هو انذار لى لكى أعرف اننى ، مثل دى ماركو ، لست معصوما أبدا .

حاولت أن انهض ولكنه دفعنى بيده قائلا :

ـ ابق حيث انت . سأشعر بالهدوء اكثر اذا بقيت هكذا .

ـ وماذا تنوى ان تفعل بى الآن ؟

ـ انك أصبحت تشكل خطرا شديدا على يا كوشرين ، ولهذا لابد من استبعادك . وقد اتصلت بويفر وانت مغمى عليك . وسيرسل قاتلا لكى يريحنى منك .

احسست بدوار ، ليس بسبب الضربة فحسب ، وانما لأن وجوه دى ماركو وروس وويفر راحت تتتابع أمامى . وفكرت فى موت الأول . كان قد خطط له أناس احترفوا الجريمة ، والآن حان دورى ... القوة والمال ... وتساءلت هل هناك شىء آخر لا يستطيع ويفر شراءه .

قلت وأنا اتمنى من سويداء قلبى ان يتحقق ما أقول .

ـ قد تعود زوجتك ما بين لحظة وأخرى .

ـ هذا بعيد الاحتمال لأن نشاطها سيبعدها عن

البيت طوال النهار . تصور اننى كنت أعرف ذلك عندما عرضت عليك المجيىء هنا .

ـــ سوف تجد مشقة كبيرة فى تفسير موتى .

ـــ اننا توقعنا هذا أيضا . ان لك اعداء كثيرين ، ولن أجد صعوبة فى تحويل دفة التحقيق الى هـــذه الناحية ، خصوصا واننى أنا الذى سأتولى التحقيق .

لم أجد ما أقول ، فقد كنت انا وحدى المسئول عما حدث لى ، لاننى بدلا من أن الجأ الى سوكولسكى مضيت الى روس راسا لكى أقوم بنفسى بكل شىء واغدو بطلا . ولكن لم يكن هناك الآن من يخف آلى نجـــدتى . وان الذين رسموا خطط العمل ليسوا أغبياء أو حمقى ، وأنا نفسى لم أكن جديدا فى هذه المهنة ، وكان يجب أن أعرف أن هناك سببا لكل شىء ، وخصوصا لتحريم العمـــل الفردى .

وكانت مدام روس قد فرشت بيتها فى ذوق سليم . وكانت تحرص على أن تبقى أرضية الغرف لامعة براقة ، ولهذا وضعت سجاجيد صغيرة مزركشة بالسجف لوقاية أماكن المرور ، وكان زوجها واقفا فوق احدى هذه السجاجيد .

وبدون تفكير ، بل حتى بدون أن أحاول ذلك ، مددت يدى وأمسكت بطرف السجادة وشددتها بكل قواى .

ولم يقع روس ، فان هذه الخدعة لا نراها الا فى السينما . ولكنه فقد توازنه لحظة كانت كافية لكى تجعل يده الممسكة بالمسدس تهتز . وانتهزت الفرصة عندئذ فألقيت بنفسى بين ساقيه فوقع فوقى ، وعلى الرغم من الألم الذى كنت أحس به فقد استطعت أن اتغلب عليه بسهولة ، وحطمت أصابعه تقريبا وأنا انتزع منه المسدس .

وافلحت بعد مشقة كبيرة فى النهوض ، واعتمدت على الحائط وراسى تدور دون أن أنقطع عن مراقبته . اما هو فلم يكن ينظر الى . وكان اشتباكنا القصير قد جرنا الى الممر . وراحت عيناه تحملقان فى الباب الذى خلفى .

وسرت فى بدنى رعشة لم يكن سببها التيار ، وارتفع صوت يقول :

ـــ ألق هذا يا كوشرين .

واطعت . ورميت بالمسدس فوق الأرض .

وعاد الصوت يقول : ـــ والآن عد الى الداخل . وانت أيضا يا روس .

التفت لكى أفحص الرجلين اللذين دخلا خلفنا . كانا مثالا للصورة المعروفة عن القتلة المأجورين . كان كل منهما أنيق الهندام ، وبيده حقيبة أوراق ، ويبدو كأنه من رجال الأعمال . ومع ذلك فانك عندما تنظر اليهما عن كثب تدرك على الفور نوع العمل الذى يقومان به من نظرتهما الجوفاء .

قال روس : اذهبا به وتخلصا منه .

كان احد القاتلين يرتدى معطفا سميكا بنى اللون بياقة من الفـــرو ، فى حين يرتدى الآخـــر معطفا من الكشمير الأزرق . وكان الأول يمسك مسدسا فى يده بينما كان الآخر يحمل مسدسا مزودا بكاتم للصوت .

وقال هذا الأخير :

ـــ اسكت يا روس .

صاح النائب العام :

ـــ أننى امنعك من أن تحدثنى بهذه اللهجة ... أن ويفر لن يسمح بذلك .

ابتسم القاتل ابتسامة كئيبة وقال :

ــ ان ويفر لم يعد يهتم بك ، فقد انتهى أمرك . انه طلب منى أن أقول لك أنك أصبحت مصدر ازعاج ولم تعد بذى نفع له .

وأشار بأصبعه نحوى وقال :

ــ اننا لن نقتل كوشرين وحده . وانما سنقتلك أنت ايضا . ويرى ويفر أن هذه فرصة مواتية تماما لكى يضرب عصفورين بحجر واحد ، وسوف ندبر الأمر بعد ذلك لكى يبدو كأنه انتقام بينكما . واننى أراهن أن رجال المباحث سيفكرون كثيرا طوال الشتاء لكى يعرفوا السبب الذى دفعكما الى القتال .

بدأ الذهول على وجه روس . وقست فى ذهنى المسافة التى تفصلنى عن القاتل ذى الياقة الفرو وأنا أتساءل الى أى مدى أستطيع أن اتصرف قبل أن يقتلنى ، لأنه لم يكن من المعقول أن انتظر حتى يقتلنى بكل هدوء .

ولكن روس سبقنى الى العمل ، فقد كان من الذكاء بحيث أدرك موقفه . وكان يعتمد على ذكائه هذا لكى يمضى الى أبعد مدى ولكى يحصل على وظيفة الحاكم ، وربما الى مقعد فى مجلس الشيوخ . وما كان لأى شخص فى مثل موقفه هذا أن يرى أحلامه هذه تنهار من غير أن يقاوم .

وتقدم خطوة الى الأمام وقد برز فكه الى الخارج وأطبق قبضته ثم ألقى بنفسه فوق ذى المعطف الكشمير . ولم يكن أمام هذا الأخير الخيار فضغط على الزناد ويد روس فى منتصف الطريق الى فكه . وسمعت صوتا مكتوما كسدادة الشمبانيا عند انتزاعها من مكانها ، ثم اهتز معطف روس عند ارتطام الرصاصة به . وفتر اهتمام زميله مجرد لحظة ولكنها مكنتنى من

العمل . وكنت أكثر خبرة من روس فى هذه المسألة ، فقد أمسكت المسدس بيد بينما رحت أضربه على يده بساعدى فى قوة .

وتخلى عن المسدس فى نفس اللحظة التى تحول فيها ذو المعطف الكشمير الى وأطلق النـــار . واخترقت الرصاصة ذراعى الأيسر ، ولكن المسدس كان قد أصبح فى وضع مناسب فى يدى اليمنى فأطلقت عليه النار . واهتز المعطف الكشمير ، تماما كما اهتز معطف روس من قبل منذ لحظات وتهاوى صاحبه .

وقبل أن أجد ما يكفى من الوقت لكى اتمالك نفسى كان ذو الياقة الفرو قد فتح الباب واسرع الى الخارج .

وتهاويت فوق مقعد فى حين امتلأت الغرفة بالهواء البـــارد الذى طـــرد رائحة البـــارود . وكان روس وذو المعطف الكشمير قد وقع كل منها بجوار الآخـــر كأخوين تواجدا جنبا الى جنب بعد غياب طويل ، وضم كل منهما الآخر فى عناق مميت .

وتأملت روس . كان قد مات ميتة مشرفة . وحقيقة انه كان يأخذ رشوة من ويفر بدت لى غير ذات أهمية ، فلو أنه لم يلق بنفسه على القاتل لكنت أنا الآن فى عداد الموتى طبعا . وشعرت بالامتنان لذلك حتى وان لم يكن قد فعل ما فعل من أجلى . وكان فى مقدورى كتعويض له أن أحفظ له ما يقدرها أكثر من شىء آخر وهـــو سمعته . فلماذا أدنسها الآن .

لن أذكر شيئا من النقود الموجودة فى صندوق الودائع بالبنك ، وبقدر ما أعلم سوف تغتبط مدام روس لأنها لن تضطر الى الادلاء بشىء عن مصدرها . فلنحتفظ بها على أن فى مقدورها هى أن تحتضنها فى فراشها ليلا بدلا من زوجها .

سأعطى جهاز الارسال لسوكولسكى ، وسأقول له أن روس اكتشفه بنفسه فى سيارته ، وهو قليل الخيال. وسيقبل نظرية المؤامرة المدبرة ضده دون القاء أية اسئلة .

أما ويفر فسينجو هذه المرة أيضا ، ولكنه لن يخسر شيئا لكى ينتظر ، فان من الصعب حقا فى الوقت الحالى ، اذا لم يكن ذلك مستحيلا أن ندينه بتهمة قتل دى ماركو وبرازيل .

ولكن كان لابد لى فى نفس اللحظة من ان أجد تفسيرا معقولا لموت روس . ودفنت راسى بين ركبتى وحاولت ان أتصور شيئا على الرغم من الألم الذى كان يسرى من ذراعى الأيسر الى كيانى كله .

« القاتل يقتل النائب العام ويصيب مساعده » .

دوت هذه الكلمات تلقائيا فى ذهنى ... نعم . هذا هو التفسير المعقول ... سأقول أن القاتل هجم علينا فجأة فى بيت روس بينما كنت أتباحث معه ، وأطلق الرصاص علينا ، واننى أخطأته وهرب . سيلقون على كثيرا من الأسئلة طبعا ، ولكننى سأعرف كيف أرد عليهم عندما أكون فى وضع يمكننى من التفكير بصورة أوضح .

ونهضت وأنا اتنهد ومضيت الى التليفون .

دسائس ومؤامرات ورشاو ... هذه هى الحصة اليومية للمدينة . وقد ساهم روس فى جزء منها مساهمة كبيرة ، وكان أن قتلته مساهمته هذه .

كان بيكيت قد ذكر لى أن هناك وسائل كثيرة لقتل اى شخص ، ولكن كانت هناك سبل اكثر يستطيع الرجل أن يستعيرها لكى يمضى الى الموت . وأن رجلا ذكيا كروس كان يجب أن يفكر فى هذه السبل قبل أن يشترك مع ويفر .

قتــل خطــأ

قتلت مارينا ميجاس على ظهر الباخرة « كورينيتا » فى الليلة الأولى لرحلتها من بنما الى سان توماس . وهى رحلة كان يجب أن تستمر يومين . والكورينيتا باخرة صغيرة تبحر بين موانى أمريكا الوسطى . وعلى الرغم من أنها كانت مسجلة فى ميناء سان توماس فقد كانت ملكا لشركة امريكية يمولها أمريكيون حصلوا على رخصهم من أمريكا وأوربا ، فى حين أن بحارتها كانوا جميعا من أهالى أمريكا الجنوبية .

وفى صباح ذلك اليوم ، وبعد ان بدأت الرحلة بقليل جاءت لويستيل ، رئيس غرفة اللاسلكى ثلاث برقيات عن طريق اللاسلكى لراكبين من ركابها الذين يزيدون عن الثلاثين راكبا . منها رسالتان للآنسة كارلوتا لوبيز ، احداها من أبيهــا ، مانويل لوبيز ، رئيس البوليس السرى ، يرحب فيها بعودتها والأخرى رسالة مشبوبة ملوءة بعبارات الحب والقبلات تحمل توقيع ريكاردو ، والثالثة مرسلة للسينور جوزيه سوزا ، وكان نصها غريبا وغامضا لا يزيد عن كلمتين هما «الآس البستونى» ولا تحمل أى توقيع ، أرسلت من مكتب سان توماس . وقد اتضح من كشف الركاب الذى يحمل ويستيل صورة منه أن جوزيه سوزا ، وكيل انتاج باحدى شركات التأمين .

واقبل رامون ، خادم الباخرة ، ردا على رنين جرس ويستيل ، واخذ البرقيات الثلاث لكى يسلمها لأصحابها. ورامون هذا شاب حاصل على دبلوم الحقوق لم يجــد

عملا فى المجال الذى تخصص فيه ، وكان أسمر الوجه له سمات الهندى ، ذا عينين حادتين توقفتا لحظة أمام اسم جوزيه سوزا وهو يفحص المظاريف ثم خرج مسرعا من غير أن ينطق بكلمة ، ولم يلبث أن عاد ومعه ايصالات بالاستلام ، وقال :

ـ سينور ويستيل ، ان السينوريتا كارلوتا تنتظر برقيات أخرى من ريكاردو ، وترجوك أن ترسلها اليها بمجرد وصولها فى اية ساعة من الليل والنهار .

شبك ويستيل الايصالات بصور البرقيات وابتسم . كان شابا فى الثلاثين من عمره ، من مواليد ميدويست ، له وجه ملوح وشعر بلون الرمل . وكان موظفو اللاسلكى الثلاثة قد عينتهم شركة أمريكية تقتضى من موظفيها الالمام باللغة الاسبانية والبقاء على ظهر المركب سنة على الأقل . الا أن ويستيل ، بقى بعد ان انتهى عقده ، لأنه كان قد تزوج من فتاة من أهالى سان توماس . وطلب البقاء فى وظيفته .

نظر ويستيل الى مساعده الثانى بعين الجد والهزل . وتحول بابلو الى النافذة وراح يتأمل منظر سطح البحر الهادىء الداكن . وقال ويستيل :

ـ لا ريب أن كارلوتا هذه مجنونة بحبيبها كارلو .

لم يبتسم مساعده الثانى . وكان بابلو اروتيز شابا هادئا وسيما ، ذا عينين واسعتين رزينتين ، وشعر اسود لامع . وهو ابن مدير المواصلات بسان توماس ، وقد التحق بالباخرة لدراسة وسائل الاتصال من الألف الى الياء ، ويشغل مؤقتا وظيفة المساعد الثانى ، لكى يكتسب خبرة فى هذا المجال .

وتحول الى ويستيل وقال :

ـ لقد أحبت كارلوتا ثلاث مرات ، وهى تقع فى

الحب بسهولة ولكنها لا تلبث ان تمل صاحبها وتتخلى عنه دائما وتتركه مذهولا .

ــ لا ريب أنها جميلة جدا .

ــ هو ذلك . وهو جمال اعتقد أنه سيكون وبالا عليها ، فسوف يقتلها بعضهم ذات يوم بدافع الانتقام ، وسيقول الناس عندئذ انها استحقت ذلك .

وفى صباح اليوم التالى ، وبعد أن فرغ ويستيل من نوبته بغرفة اللاسلكى مضى الى قاعة الطعام لكى يتناول افطاره ، ولكنه اصطدم بجماعة من الخدم والركاب يغلب عليهم الانفعال ، وقد تجمعوا أمام احدى مقصورات الدرجة الأولى . ووقف رجل مرتديا ثيابا من الكتان الأبيض يعتمد بظهره على السياج . وكان طويل القامة ، أسمر الوجه ، وهو جوزيه سوزا . وسأله ويستيل عما حدث فقال :

ــ قتل بعضهم السينوريتا مارينا ميجاس بطعنة خنجر فى القلب وهى فى فراشها . والقبطان والطبيب وأمين الباخرة فى الداخل .

كان باب المقصورة مقفلا . وكان ويستيل فضوليا بطبعه ، ولكن لم يشأ أن يبدو بأنه يتدخل فيما لا يعنيه خاصة وأنه سوف يعرف تفاصيل الجريمة من القبطان عندما يبعث هذا الأخير بتقريره ، فتابع طريقه الى قاعة الطعام .

وعاد الى غرفته بعد أن فرغ من طعامه ، وما كاد يفعل حتى استدعاه القبطان الى مكتبه ، وهو رجل دانمركى قصير ، أزرق العينين ، بشوش الوجه ، يدعى البورج . وكان يرتدى شورتا كاكى اللون وقميصا بكتفيات مذهبة . وكان وجهه المستدير ينطق بالاستياء .

وأشار بيده الى ويستيل بأن يجلس ، ثم بدأ يروى له ظروف الجريمة .

كانت القتيلة ، مارينا ميجاس ، الوصيفة الخاصة لكارلوتا لوبيز ، وكانت هذه الأخيرة عائدة الى سان توماس بعد اقامة ستة أسابيع فى بناما حيث ذهبت لزيارة عمة لها . وكانت هى ومارينا تشغلان مقصورتين متجاورتين تفصل بينهما غرفة استحمام . وكانتا قد رقدتا فى الساعة الحادية عشرة مساء وتركتا الباب الفاصل بينهما مفتوحا بسبب الحر . واستيقظت كارلوتا فى الساعة السابعة والنصف عندما سمعت صوت الجرس الذى يدعو الركاب لتناول الافطار . وانتظرت أن تأتيها وصيفتها لتعاونها فى ارتداء ثيابها . ولما لم تأت مضت الى الغرفة الأخرى حيث وجدت مارينا فى فراشها وقميصها ملوث بالدم ، فأسرعت الى الطرقة واستدعت الخادمة لمساعدتها .

وأردف البورج يقول بالانجليزية ، وهى لغة يتكلمها فى طلاقة ويفضلها عن الاسبانية :

ـ وقد أصيبت مارينا ميجاس بطعنة فى القلب . ويبدو أن شيئا لم يسرق ، وان القاتل لم يكن ينوى الا على شىء واحد ، هو قتل المرأة التى ترقد فى الفراش ، ولعله أخطأ فريسته .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ عندما أوت كارلوتا الى فراشها مساء أمس احست بتيار خفيف ينبعث من أحد أجهزة التهوية . ولما كانت عرضة للزكام ، فقد استبدلت الفراش مع مارينا ميجاس أثناء الليل ، ولم يكن هناك من يعلم بذلك طبعا ، ولم يكن من المتوقع أن يلحظ القاتل ذلك فى الظلام .

ـ هل تظن اذن أن القاتل شخص كان يحقد على كارلوتا لوبيز ؟

ـ أو على أبيها على الأرجح . فقد قالت لى كارلوتا ان البوليس السرى قتل ابنة زعيم كالديرونى منذ بضعة أسابيع . وعلى الرغم من أن مانويل لوبيز أصر على أنها ماتت قضاء وقدرا فان الكالديرونيين لم يصدقوه ، وأقسموا أن يردوا له الصاع وهم حقودون جدا .

ـ اذا كنت على حق فمعنى هذا أن هناك خلية كالديرونية على سطح المركب .

ـ أو لعل هناك رجلا كالديرونيا وحيدا فى المركب ، وهذا أقل سوءا . كنت أخشى أن تكون هناك خلية لتدمير المركب ، اذا ما أراد الجيش استخدامها فى نقل الجنود لقمع ثورة فى البلاد . ولا شك أنك تعرف معنى هذا بالنسبة لى ولك .

كان القبطان البورج يشير الى نقطة معينة بالذات فانه بعد أن تولى قيادة المركب بسنتين نقل زوجته وأسرته الى سان توماس معتمدا على أن المركب حديثة البناء ، وأنها ستبقى فى الخدمة سنوات عديدة . أما اذا دمرت السفينة فسوف يجد نفسه بلا عمل هو وويستيل .

وتناول القبطان من درجه ، وهو يتكلم ، استمارة برقية لاسلكية ، وكتب تقريرا مسهبا عن الجريمة لشركة الملاحة بسان توماس ، وناولها لويستيل وهو يقول :

ـ لا ريب أن الرد سيأتينا سريعا من مانويل لوبيز عندما يعلم بالحادث ، واننى أتوقع أن يأمر باتخاذ اجراءات مشددة لحماية ابنته ، والا فان لدى خطة أنوى أن اتبعها ، وهى اننى سأدع جميع من على ظهر

المركب يعتقدون أن مارينا فيجاس قتلها عدو لها ، وسأحرص على ان ينتشر هـذا النبأ بين البحـارة والركاب ، وحتى الآن لا أحد يعلم بالاستبدال الذى تم غيرى أنا والطبيب وأمين المركب والخادمة .

ـ هل تظن أنه يمكنك أن تثق فى الخادمة .

ـ اذا كانت كالديرونية فسوف لا تعرف أكثر من اننى اريد أن تبدو الجريمة على أنها عمل انتقامى :

وهز القبطان رأسه فى أسى وقال :

ـ وهذه هى مساوىء الجمهورية ، فاننا أصبحنا لا نستطيع التمييز بين الكالدونيين وبين رجال البوليس السرى .

أخذ ويستيل البرقية ومضى الى غرفة اللاسلكى . وكان مساعده الأول ، ويدعى تشاك ، شابا أشقر من مواليد شيكاغو ، وكان يقوم بنوبته ويثرثر مع بابلو . وبعد أن أرسل تشاك رسالة القبطان ، وكان حديث خدمة على ظهر المركب ، وكانت هذه هى رحلته الثانية، تحول الى ويستيل وقال :

ـ وما معنى الكالديرونية ؟

ترك ويستيل لبابلو مهمة الرد فقال هذا الأخير :

ـ هى حركة خفية تأسست حديثا ، وسميت هكذا نسبة الى الزعيم الثورى جيم كالديرون . وقد قتـل البوليس هذا الأخير وهو يحاول الهرب ، أو هذا ما قيل فى ذلك الوقت على الأقل . . . والكالديرونيون منظمون ويقسمون أنفسهم الى خلايا صغيرة ، كل خلية مكونة من عضـوين أو ثلاثة فقط ، وذلك حتى يتعذر على البوليس السرى أى تسرب . وأعضـاء كل خليـة لا يعرفون أحدا من أعضاء الخلايا الأخرى ، فاذا ما ألقى البوليس السرى القبض على واحد منهم ،

فليس هناك خوف من ان يخون زملاءه ، حتى ولو تحت سوط العذاب . والكالديرونيون يستخدمون فى اتصالاتهم كلمات وشفرات مختلفة . وقد تكونت الخلايا فى البنوك والوزارات والمواصلات ، وفى كل مكان من البلد ، حتى يتمكنوا من شل حركة الحكومة بأعمال التدمير والتخريب عندما تقع الثورة .

قال ويستيل يحدث نفسه « كلام منمق وجدير بابن موظف حكومى استطاع بنفوذه أن يلحق ابنه بوظيفة عامل لاسلكى على الباخرة « كورينيتا » » .

وجاء الرد على برقية القبطان سريعا من ما نويل لوبيز ، فقد أبرق اليه يقول : « اتخذ كل الاحتياطات لحماية كارلوتا . اقبض على جميع المشبوهين على الفور ، واستجوب كل من كان موجودا فى مكان الجريمة ساعة وقوعها . أصرح لك بأن تصدر اوامرك لكارلوتا لكى تطيعك فى كل ما تتخذه من اجراءات لحمايتها . مانويل لوبيز » .

مضى ويستيل بالبرقية الى القبطان فورا بدلا من أن ينتظر أن يرد رامون على جرس تشاك . وتسببت البرقية فى جزع القبطان وارتباكه فقال :

ــ سوف يحطمنى هذا الرجل اذا وقع لكارلوتا شىء . ولسوء الحظ لا أجد أمامى مشبوها واحدا ، فليس هناك من رأى أحدا يدخل مقصورة مارينا ميجاس أو يخرج منها . ثم اننا لا نعرف متى قتلت ، وبناء على ذلك لا نستطيع أن نحدد من كان موجودا فى المكان ساعة الجريمة . يجب على لوبيز أن يعلم أن قبطان الباخرة لا يستطيع أن يتصرف كما يتصرف البوليس السرى ، وأن يستجوب الركاب والبحارة ، وأن يلقى عليهم القبض اذا لم يرتح الى مسلكهم أو الى ردودهم .

ان هذه الباخرة تبخر تحت شعار الجمهورية ، ولكننى حصلت على رخصتى من كوبنهاجن ، ولا يمكن لأى جهة اخرى أن تسحبها منى .

قال ويستيل متسامحا :

ــ انك فى موقف حرج .

ــ ولكننى أستطيع الآن ، بعد ان صرح لى لوبيز ، ان اعمل وفق طريقتى ، وأن أقبض على الكالديرونى من غير اضاعة وقتى فى اعداد كشف بالمشبوهين ، فان القاتل بعد فشله الليلة قد لا يفكر فى أن يضرب ضربة ثانية . ولكن اذا نحن تظاهرنا بأن مارينا ميجاس هى الضحية المقصودة ، واذا كانت الخادمة لا تنتمى الى الحركة الكالديرونية ، فاننى ارجو ان أحثه على أن يكرر ضربته ، وأن أقبض عليه متلبسا . واذا كان واحدا من رجال البحارة فاننا نستطيع بذلك تدمير احدى الخلايا بالباخرة . سأبعث وأطلب احضــــار كارلوتا ، فابق معى ، واسمع ما سوف تقول بخصوص رسالة أبيها لكى تكون شاهدا اذا ما رفضت التعاون .

وأقبل رامون ردا على جرس القبطان ، وبعد بضع دقائق أدخل كارلوتا آرمز . وقال ويستيل محدثا نفسه انها جميلة جدا . وكانت فى نحو الخامسة والعشرين ، لبنية البشرة ، ذات شفتين ممتلئتين وأهداب طويلة طبيعية ، شعرها قصير تجمعه بشريط متعدد الألوان . وكانت غضة تبدو كما لو كانت قد خرجت لتوها من ثلاجة ، على عكس القبطان وويستيل اللذين جعلتهما حرارة المقصورة يتفصدان بالعــرق ، على الرغم من المروحتين الكهربيتين الدائرتين .

ونهض القبطان البورج ليستقبلها وقدم لها ويستيل ، رئيس غرفة الراديو ، ثم ناولها البرقية قائلا :

ـــ وقد أرسل أبوك هـــذه البرقية وجاءنى بهـــــا مستر ويستيل .

ألقت كارلوتا ابتسامة سريعة شاردة لويستيل ، وقالت بعد أن قرأت البرقية :

ـــ اننى أوافق على كل الاجــــراءات التى تراها ضرورية لتطبيق تعليمات أبى أيها القبطان .

ـــ شكرا لك يا سينوريتا . لدى خطة للعمل طبقا لتعليمات أبيك ، ولكى ألقى القبض على الكالديرونى فى نفس الوقت ، وســـأتخذ فورا التدابير الضرورية لتنفيذها . وسأطلعك عليها فيما بعد . أما فى الوقت الحاضر فاســـتمرى فى تظاهرك بأنك تعتقد أن موت مارينا ميجاس وقع بدافع الانتقام .

قالت كارلوتا فى برود :

ـــ أرجو أن تقتل ذلك الكالديرونى أيها القبطان ، وبهذا لا يجازف بالافلات منك .

قال القبطان فى حدة :

ـــ سألقى القبض عليه وسأسلمه للبوليس .

وعندما خرجت المرأة الشابة ابتسم ويستيل وقال :

ـــ أنها جميلة جـــدا . ولكننى لن أحب أن أكون زوجها .

وعندما أقبل ويستيل ليحل محله فى غرفة الراديو فى الساعة الرابعة بدأ يراجع البرقيات التى استلمها بابلو أثناء نوبته .

ـــ رسالة أخرى من ريكاردو للحبيبة كارلوتا .

ونطق بابلو بالعبارة السابقة فى لهجة ساخرة .

وكانت هناك برقية أخرى لجوزيه سوزا وهذا نصها « اثنان دينار » . ولم تكن تحمل أى توقيع كالرسالة السابقة ، وكانت صادرة من سان توماس . ومن بين

الرسائل التى أرسلت من الباخرة كانت هناك برقية من جوزيه سوزا الى الفارو دياز بشباك بريد سان توماس هذا نصها « أعد الكرة » .

وبينما كان ويستيل يقرأ البرقية فى فضول قال بابلو :

ـ الظاهر أن جوزيه سوزا يلعب الورق . أنه ارسل هذه البرقية والنقود مع رامون ، ويبدو أن « اثنان ديناری » هو الرد عليها .

هز ويستيل كتفيه فى غير اكتراث :

ومع ذلك ففى وقت فراغه ، أثناء نوبته ، عاد ويستيل يفكر فى برقيات جوزيه سوزا الثلاث . وفى الساعة الثامنة جاء تشاك ليحل محله ، ومضى ويستيل عندئذ الى مقصورة القبطان ليعرف التدابير التى اتخذها للايقاع بالكالديرونى . كان البحر لا يزال هادئا ونسمة خفيفة ترطب جو المقصورة ، وكان القبطان متراخيا فى مقعده يقرأ احدى المجلات . والقى بالمجلة عند دخول ويستيل وأسرع يقول :

ـ كل شىء على مايرام سترقد كارلوتا الليلة فى فى غرفة المرشد . وقد أريتها المكان وأعطيتها المفتاح وأوصيتها أن لا تذكر لأحد أنها لن تقضى الليلة فى غرفتها والقبطان المساعد وأمين الباخرة سيتناوبان الحراسة فيها الليلة للقبض على الكالديرونى اذا تراءى له أن يأتى . وقد أصدرت أوامرى للقبطان المساعد بأن يوقظنى على الفور اذا ما حدث ذلك . أما اذا لم يقع شىء حتى الساعة الرابعة ، ففى مقدوره أن يغادر الغرفة . وأن يأوى الى فراشه ، ويجب على النقيب البحرى أن يوقظنى فى الساعة الرابعة لكى أبدأ نوبتى فوق المركب .

وأطلع ويستيل القبطان على برقيات جوزيه سوزا وقال :

ــ ربما أتصور أشياء بسبب جريمة الليلة . يظن بابلو أن هذه البرقيات لها شأن بلعب الورق عن طريق اللاسلكى ، ولكننى اتساءل الا يمكن أن تكون لها صلة بكارلوتا ؟ . . . لعلها برقيات ذات شفرة خاصة ، وقد قال بابلو هذا الصباح ان الكالديرونيين يتراسلون بشفرة خاصة .

قال القبطان :

ــ قد يكون هناك شيء فى ظنونك هذه ، وسوف نتحقق من ذلك اذا وقع جوزيه سوزا فى الفخ .

وبعد أن غادر ويستيل غرفة القبطان خطر له أنه اذا جاءت برقية من ريكاردو خلال الليل فان الفخ قد ينكشف عندما يريد الخادم أن يسلمها لكارلوتا فى غرفتها . وكان تشاك وحده فى غرفة اللاسلكى ، أما بابلو فقد مضى لكى ينام .

وقال ويستيل يخاطب تشاك :

ــ ان كارلوتا تنام الليلة فى مقصورة المرشد ، ويأمل القبطان أن يؤمن سلامتها بهذه الطريقة نتيجة لبرقية اليوم . واذا جاءتها برقية من ريكاردو فاحتفظ بها الى الصباح ، واذكر ذلك لبابلو عندما يأتى لكى يحل محلك فى منتصف الليل .

وعندما جاء ويستيل بدوره ليحل محل بابلو فى الساعة الرابعة صباحا قابله هذا الأخير بابتسامة متألقة وقال :

ــ لا شيء من ريكاردو .

ثم مضى الى غرفته .

وكان الشيء الذى أزعج ويستيل هو أن خطة القبطان للايقاع بالكالديرونى لم تفلح ، والا لأقبل القبطان بنفسه

لارسال برقية يسرد فيها نجاحه بالتفصيل ، ولو كان قد فعل لحدثه بابلو بذلك . ولم يبد ويستيل الا اهتماما بسيطا بتشويشات الراديو الصباحية ، والأصوات الصادرة من مكبر الصوت . وكان القبطان المساعد وأمين المركب قد تركا مراقبتهما والقبطان ...

وفجأة صلصل جرس التليفون . كان المتكلم القبطان ، وكان صوته ينطق بخيبة الأمل ، فقد قال :

ــ لقد انتظر القبطان المساعد والأمين حتى الساعة الرابعة ولكن الكالديرونى لم يأت .

ــ لعله اكتشف الفخ ..

ــ لا أظن . ربما أخطأت منذ البداية ، وربما قتلت مارينا ميجاس بدافع الانتقام حقا . ان القطبان المساعد والأمين متأكدان أن أحدا لم يرهما وهما يتسللان داخل المقطورة ، ولكننى أتوقع أن كارلوتا قد تقول لنا شيئا عندما تستيقظ . لعلها تكلمت عن غير قصد .

ولكن كارلوتا لوبيز لم تكن لتستطيع أن تنطق بكلمة ، ففى نحو الساعة الثامنة اندفع القبطان داخل غرفة الراديو وهو فى شدة الجزع وقدم لويستيل برقية قائلا :

ــ ارسل هذه فورا . لقد خنقت كارلوتا لوبيز هذه الليلة فى غرفة المرشد .

نظر ويستيل اليه مفغور الفم وقال القبطان :

ــ لقد جاء الضابط الثانى لينوب عنى ريثما أتناول طعام الافطار ، فمضيت الى غرفة المرشد أرى اذا كانت كارلوتا قد استيقظت . وطرقت الباب مرتين أو ثلاثا دون أن أسمع ردا ، وظننت انها خرجت لتناول الافطار . وأدرت الأكرة فانفتح الباب واذا بكارلوتا

ملقاة فوق الأرض أمامى ، وقد التف حزام ثوبها حول عنقها . ومما لا شك فيه أن القاتل ضربها أولا لأن هناك كدمة على جبينها .

قال ويستيل تنهدا :

— لا ريب انها لم توصد غرفتها . ولكن من الذى استطاع أن . . . .

تأوه الكابتن وقال فى انزعاج :

— لا أدرى . سأترك مهمة البحث عنه لمانويل .

وعندما بلغت الباخرة شاطىء سان توماس فى نحو الساعة العاشرة احتلها البوليس السرى على الفور ، ووقف شرطيان من البوليس المحلى بسلاحيهما امام المعبر ولديهما تعليمات مشددة بأن لا يهبط احد من الركاب الا ومعه تصريح بذلك . وبعد قليل اتصل القبطان بغرفة اللاسلكى لكى يقول ان مانويل لوبيز يريد أن يرى برقيات جوزيه سوزا ، وأن واحدا من رجاله سيأتى لكى يأخذها . وبعد بضع دقائق جاء رجل يرتدى ثيابا من القطن وقبعة عريضة وأخذ البرقيات .

وبعد نحو عشرين دقيقة اتصل القبطان البورج بويستيل وأخبره أن مانويل لوبيز فرغ من البرقيات، وانه يستطيع اعادتها الى أرشيفه من جديد . ومضى ويستيل بها اليه ، وكان القبطان وحده فى غرفته وقد خاطبه قائلا :

— لقد استولت الدهشة الشديدة على دى سوزا عندما حدثناه عن البرقيات ، والتوقيع الذى على الايصالات ليس توقيعه ، وقد استجوب مانويل لوبيز رامون ولكن هذا الأخير رفض ان يتكلم . . . وقد

أخذوه الى المقصورة الشاغرة التى يستخدمها البوليس السرى كمقر عام لاستجواباته .

قال ويستيل فى حزن :

ـ انهم سيقدمون اليه عينة مما ينتظره اذا ما هبطوا به الى الأرض لاستكمال استجوابه .

وهنأ نفسه لأنه تكلم بالانجليزية لأن مانويل لوبيزدخل فى هذه اللحظة ، وكان نحيلا وشاحبا يلبس بذلة سمراء ونظارة لها اطار مذهب ، وبدا لويستيل انه ينتمى الى نوع الرجال الذين يرأهم فى متاجر المجوهرات . وكان وجهه ينم عن حزن مشوب بالغضب ، ولكن قسماته لانت عندما قدم له القبطان ويستيل ، وقال :

ـ انك أحسنت صنعا يا سينور ويستيل اذ وجهت اهتمام القبطان الى برقيات جوزيه سوزا .

وتحول الى القبطان وأردف يقول :

ـ لقد اعترف رامون بأنه كالديرونى ، وقد جاءته مكالمة تليفونية من مجهول قبل ابحار الباخرة من سان توماس فى رحلتها الأخيرة قيل له فيها ان كل عضو من أعضاء خلية المركب ستأتيه ورقة من أوراق اللعب ومعها التعليمات . وكان يجب على رامون أن يفهم كل البرقيات المرسلة الى جوزيه سوزا . واذا كان فى البرقية اشارة الى احدى ورقات اللعب فيجب أن يتلف البرقية وأن يزيف توقيع جوزيه سوزا على الايصال الدال بالاستلام ، أما اذا لم تكن هناك أية اشارة فمعنى هذا أن البرقية صحيحة وعليه عندئذ أن يسلمها لصاحبها . وكانت التعليمات التى صدرت اليه بأن يكتب نوع الورقة التى جاءته على هامش اعلان صادر للبحارة . وعلى كل عضو من أعضاء الخلية أن يقرأ

الاعلان المذكور ، وعلى الذى يتطابق اسمه مع الورقة المذكورة أن يقتل كارلوتا .

وتهدج صوت مانويل لوبيز وهو يستطرد قائلا :

ــ واذا فشلت المحاولة فيجب أن يرسل رامون برقية نصها « أعد الكرة » فتتكرر العملية بورقة أخرى . ويبدو انه سيتعذر علينا العثور على الفارو دياز ، وذلك الذى أرسل البرقيتين الأخيرتين . وقد اختير اسم جوزيه سوزا صدفة بين الركاب .

وأردف مانويل لوبيز يقول :

ــ ولم يكن رامون على علم بخطتك أيها القبطان ، ولا أى عضو آخر من اعضاء الخلية ... وفضلا عن اعترافاته فان لدنيا كل الأدلة الضرورية للتدليل على انه هو الذى قتل مارينا فيجاس . فقد عثرنا على سكين مطبخ ملوث بالدم فى صندوق متاعه وعلى ورقة آس بستونى فى محفظته .

ــ اذن فأنت لا تعرف من هو « الاثنين الدنيارى » ؟ ولا كيف استطاع أن يعلم أن كارلوتا كانت ترقد فى تلك الليلة فى غرفة المرشد ؟

قال مانويل لوبيز فى حزن :

ــ هو ذلك أيها القبطان ، ولكننى سوف اكتشف من هو حتى ، ولو كرست كل حياتى لذلك .

تدخل ويستيل وقال :

ــ اننى فكرت فى هذه المسألة مليا . لقد عثروا على كارلوتا ملقاة على الأرض ولم تكن فى فراشها كالسنيوريتا ميجاس ، ويمكننا أن نستنتج من هذا أنها غادرت فراشها لكى تفتح الباب لشخص ما .

قال مانويل فى حدة :

ــ أرجو أن تعلم ياسينور ويستيل أن هذه النقطة

لم تغب عنى . اننى أحاول فى هذه اللحظة أن أحـــدد لمن من الركاب فتحت الباب فى منتصف الليل .

ــ لم يكن راكبا بالضرورة ... فان ريكاردو مثلا .

ــ ريكاردو ؟ ... هل أنت مجنون ؟

ــ ان السينوريتا كارلوتا طلبت أن يذهبوا اليهـــا ببرقيات ريكاردو فى اية لحظة ، سواء كان ذلك نهارا أو ليلا . لنفرض أن بعضهم طرق بابها وهو يقول انه يأتيها ببرقية من ريكاردو ويطلب منها أن توقع على الايصـــــال .

قال مانويل لوبيز :

ــ أذكر لى أسماء كل الذين كانوا يعرفون ذلك .

ــ ليس أسماءهم فقط . وانما سأذكر لك أسماء جميع الذين كانوا يعلمون أين ستقضى كارلوتا الليلة . ان رجلا تتفق عليه هذه الشروط بقى مترقبا هنـــا ، فى غرفة الراديو ، من منتصف الليـــل حتى الرابعـــة صباحا . وكان الجميع نياما .

صاح القبطان مشدوها :

ــ بابلو أورتيز ... لا أستطيع ان أصدق ذلك .

صاح مانويل لوبيز وهو يتميز غيظا :

ــ سوف تصدق حين تعرف الحقيقة فيما يخصه ، فقد مضى عليه وقت شجعته فيه كارلوتا ، ولكنهـــا لم تلبث أن صدته حين أدركت غباءها . وقد جرح فى كرامته ، وانتهز المؤامرة الكالديرونية لكى ينتقم .

واندفع مانويل لوبيز الى الخارج فى طريقه الى غرفة الراديو .

* * *

انهم ارسلوك

دخـــل بيو حديقة الفيللا الواقعة جنوب اكابولكو وبسط بطاقة لسيده . كان اليوم جميلا ، من هــذه الأيام الهادئة الصافية التى لم يجد ريتشار الوقت بعد لكى يعتبرها قاعدة وليست نادرة .

كان قد تزوج زواج مال ، وقتل زوجته . وبعد أن صفى ممتلكاتها الواسعة غادر ولاية ويسكونسين ، لا بدافع الخوف ، لأنه كان قد خطط لموت كاترين تخطيطا جيدا ، وانما لأن ولاية ويسكونسين كانت تعرض ضميره لمحن لم يعد يحتملها ، ويخشى أن تحيل حياته جحيما ، زد الى هذا رغبته فى الطواف حول العالم .

وقد سافر أولا الى ايطاليـــا ، وكان يعتبرهـــا فى احلامه ، الاطار المثالى لحياته الجديدة : البندقية وقصر عتيق على ضفة قنال منعزل وكان قـــد قرأ مذكرات أسبرن ، وفيها يشيد صاحبها بجمال المدينة وروعـــة بيوتها . ولكن البندقية الحقيقية لم تكن تتفق مع الفكرة التى كونها عنها فى خياله ، على الرغم من انها كانت حافلة بالفتنة والسحر ، فقد وجدها مزعجة بضوضائها ، وكريهة الرائحة ، وغريبة الى أبعد حد .

وسافر الى المكسيك بعد ذلك . وبدت له افضـــل لأنه سافر اليها دون تخطيط ، وبغير أن يقرأ شيئا عنهـــا . . .

وقد ضاعت احدى حقائبه فى المطار ، وابدى رجال البوليس نشاطا مبالغا فيه بخصوص جواز سفره . وفى الفندق ، كان التكييف متوقفا عن العمل فى غرفته ،

وعندما حاول أن يشكو للمدير فى التليفون وقعت حلقة مرهقة من سوء التفاهم . وعندما خرج الى الطرقة فى طريقه الى قاعة الطعام فتح باب الغرفة التى أمام غرفته فى عنف ، وانبعثت منها موسيقى أمريكية صاخبة بطريقة جنونية ، وارتمت امرأة شبه عارية عليه وهى ترطن بالأسبانية . وما كان ليفهمها حتى لو لم تكن هناك هذه الموسيقى . وتبعها رجل ، ضاحكا ، وأقصاها عن ريتشارد . ورأى بداخل الغرفة رجلا آخر كان يبدو أنه أفرط فى الشراب . ومكث ريتشارد فى الخارج حتى منتصف الليل ، وقد عقد النية على أن يستبدل الفندق اذا لم تكن الحفلة قد انتهت عند عودته . ولكن كان كل شىء صامتا . وكان التكييف لا يزال متوقفا ، ورحل فى الفجر الى أكابولكو .

وكأنه انتقل من المطهر الى الجنة ، فقد كان المنظر رائعا والفيللا ممتازة ، وأحس بأنه فى أمان . وكان هناك أمام الطريق جدار من الطوب النيىء عرضه نحو ثلاثين سنتيمترا تغطيه بعض الأعشاب والنباتات والزهور الجميلة . وعندما كان يجلس فى حديقته الممتدة أمام الفيللا كان منظر البحر يوحى اليه بشعور الأمان ، لأن طريق الهرب كان مفتوحا أمامه عند الضرورة . فهناك يخت صغير يرسو فى الجون الذى يقع أمام الفيللا ، وعندما كانت تتجمع سحب الملل الخانقة وتغريه بالتحرك كان ينظر الى ذلك اليخت متمنيا فى قرارة نفسه أن يستخدمه ذات يوم للفرار .

وكان الساحل الجنوبى يبدو مهجورا ومقفرا تماما كذلك الساحل الذى وصفه روبنسون كروزو . أما فى الشمال فقد كان فى مقدوره أن يرى سطح الفيللا المجاورة . ويقول بيو ان شاعرة أمريكية تقيم فيها

برفقة صديق لها . وكان ريتشارد راضيا عن خدمه ، فقد كان بيو على كفاءة كبيرة ، وعلى شيء محبب من الوقاحة دون أن يكون سليطا . أما مرجريتا فقد كانت صورة للهدوء . كانت عيناها البارزتان لا تتحولان عنه ابدا ، وقد خيل لريتشارد أن حياتها كانت حافلة بأحداث دامية ولكنه لم يحاول أن يسألها أبدا فقد علمته ملذات الحياة أن لا يرضى فضوله فيما يتعلق بغيره الا فى حدود ما يكفى لتشغيل خياله . أو لعله كان يشعر ، على غير وعى منه أنه كلما قل اهتمامه بغيره كلما قل اهتمام الغير به . ونظر الى البطاقة التى ناوله بيو اياها كما لو كان ينظر الى تحفة نادرة عثر عليها بيو فى غرفة متربة : شركة فييستا للنسيج بمكسيكو ... أكابولكو ، بالم بيتش ونيويورك ... وفى ركن منها اسم : كارين دين .

منذ ان اجر الفيللا لم يزره احد ، ولم يكن يريد أن يزوره اى احد . واذا كان ضميره ليس شعلة متأججة فانه لم يكن رمادا مع ذلك . وان حياة الافراط التى أصبح فى مقدوره أن يحياها الآن ما كانت الا لتملأه بالغثيان . وان رجالا مثله حصلوا على ثقافة اصطلاحية فى مقدورهم أن يهزأوا بالدين ، وان يناهضوا الأخلاقيات، وأن يسخروا من المعتقدات والخرافات ولكنهم يحفلون بأنفسهم عادة . وكانت تدور برأس ريتشارد فكرة مبهمة وهى انه يستطيع أن يهدىء من حدة آلهة الانتقام اذا هو اعتزل العالم وقضى بقية عمره فى شيء من الزهد والتقشف .

وأدنى البطاقة الأنيقة المعطرة من انفه وهم بأن يرفض مقابلة تلك المرأة . وقال :

ـ ما شكلها يا بيو ؟

فتح بيو شفتيه فى ابتسامة معبرا عن اعجابه الشديد ، ولكن ريتشارد سبقه الى الكلام قائلا :

ـ كلا . لا تقل لى شيئا .

ومع ذلك فان تلك الابتسامة التى ارتسمت على شفتى خادمه كانت خير دليل بحيث أن جمال المرأة الصارخ لم يكن مفاجأة بالنسبة له . كانت طويلة القامة ، ذات جسد فاتن ساحر وعينين زرقاوين ووجه بلون العسل ، تحت تاج من الشعر الأشقر الشاحب ، وفى يدها حقيبة من القش كان يمكن أن تكون حقيبة عينات لأنها كانت كبيرة الحجم . ابتسمت له ابتسامة بهرته وقالت :

ـ حسنا يا ريتشارد ... أظنك لا تعرفنى على الاطلاق ...

وكان هذا حقا ، وهى اهانة لا تغتفر لهذا الجمال الفتان . وحاول أن يبذل جهده لكى يتذكرها . وقال :

ـ أنا واثق اننا التقينا قبل ذلك ، ولكننى لا أذكر أين .

قالت :

ـ أنا نفسى لست واثقة ، فقد كان ذلك منذ وقت طويل ، ربما فى حفلة أو اجتماع ما ... اننى كنت فى المدرسة مع كاترين .

اخفى تحت ابتسامته الاثر السيىء الذى احدثههذا الاسم .

وقالت انها رأت اسمه فى سجل الفندق فى مكسيكو ، وانه كان قد رحل عندما ذهبت اليه ، وأردفت :

ــ وقد قيل لى انك قدمت هنا فأتيت خلفك . هل كاترين معك ؟

ولو انه كان فى اوكلير او ميامى أو لوس آنجلوس ، او فى أى مكان آخر بالولايات المتحدة لتملكه الفزع . اما فى هذا المكان ، وذلك الجدار على يساره والبحر من تحته ، فانه أحس بأنه بعيد كل البعد عن تدخل الماضى على الرغم مما فيه من خطر . وعندما قال « ان كاترين ماتت » . استطاع أن يبتسم . وكان لابتسامته هذه معنى واحد وهو أن كاترين أصبحت ذكرى ولم تعد جرحا .

وكانت مواساتها له شكلية ، وقالت له انها لم تعرف كاترين معرفة وثيقة . وقدم لها كأسا ، وتحدثت عن نفسها فقالت انها قدمت الى المكسيك فى بادىء الأمر للحصول على الطلاق ، وان البلاد أعجبتها فالتحقت بوظيفة فى شركة صغيرة للنسيج ، وان الشركة لم تلبث أن تطورت واتسع نشاطها وأصبحت تحتل الآن مكانا له أهميته ، وانها تنتقل من فرع الى آخر وعادت لتوها من مكسيكو ، وستركب الطائرة الى بالم بيتش فى آخر الاسبوع . . . كلا . انها لم تتزوج ثانية .

ووجدها جذابة ، وارتاح اليها قلبه ، وتنهد فى قرارة نفسه متحسرا ، فانه لن يرتبط بأية علاقة معها .

وسألته عما يفعل فى الوقت الحاضر ، وقد استقر الآن فأجاب ، لا شىء . . . اننى فى أجازة . . . والحق أنه قد منح نفسه أجازة طويلة مباركة . . وكان فى مقدوره أن يعقب قائلا : وقد استحققتها تماما بعد الاثنى عشر عاما التى قضيتها مع كاترين ، التى كانت تقول لى ما يجب وما لا يجب أن أفعل . . . نعم . . .

انه اكتسب كل هذا عن جدارة ... رأس المـــال والأرباح .

قالت ضاحكة وقد كشفت عن أسنان سليمة ناصعة البياض :

ــ ولكنك مازلت شابا لكى تعتزل الحياة ... ربما أستطيع أن أجد لك عملا فى الشركة .

ــ ولكننى لا أعرف شيئا فى النسيج ... بل اننى لا أعرف نوع الثوب الذى تلبسين ، ولا كيف تسمين لونه .

ــ انه من اللينو وهو وردى اللون .

ورددت البصر حولها ثم قالت :

ــ ولكننى لم أكن أعنى عمل بائع أو وظيفة فنية .. ربما فى قسم العلاقات العامة ، وهو قسم له أهميته ، فى الأفق الدولى ... استقبال الشخصيات الكبيرة التى تزور البلاد ، ومرافقتهم فى نزهات بحرية وتقـديم الشراب لهم ... هـذا اذا كان لك أى ميـل لذلك طبعـــا .

ولم تلح عليه لكى يعطيها رأيه ، ولكنها لم تستبعده أيضـــا .

قال :

ــ سوف أعرضك لمجازفة كبيرة عندئذ . فاننى أستطيع ، كما تعرفين ، أن أقرر فجأة أن المكسـيك لا تروق لى .

ــ ارحل حالا اذن فان للمكسيك سحرا لا يمكن مقاومته بسهولة .

ونطقت ببضع كلمات باللغة الاسبانية ، فنظـر اليها مستفهما ، فقالت :

ــ ألا تعرف الأسبانية ؟

ـــ هناك مدرس يأتينى مرتين او ثلاثا فى الاسبوع . وسوف أثير دهشتك فى المرة القادمة .

ـــ هل هذه دعوة ؟

لم يكن الأمر كذلك . ولو انه كان فى صوتها اى دلال لما تردد فى التحديد . ولما كان سؤالها عاديا جدا فقد قال لها انها تكون على الرحب والسعة دائما ، وكان متأكدا من انه لن يراها ثانية .

وقالت :

وكان فى صوتها هذه المرة شىء من التدليل :

ـــ فكر جيدا خلال ذلك اذن . . . اعنى فى الوظيفة التى كلمتك عنها .

اجابها بأنه سوف يفعل ، ولم يكن هذا صحيحا طبعا ، ولو أنها عرفت السبب لدهشت ، فان عددا قليلا من الناس كان فى مقدورهم أن يفهموا فكرته المبهمة عن القصاص . . . كان فى استطاعتهم أن يروا الرخاء الذى يعيش فيه والبذخ والترف اللذين يرفل فيهما ، ولكنهم ما كانوا ليستطيعوا أن يشتبهوا فى القضبان والأسوار التى تحيط به وتحبسه من كل جانب . وما كانوا ليفهموا انه آثم ، وانه يفرط فى تكلفه وتصنعه لكى يقع فى شرك المسوح ، والأزمات العصبية ، وكل الوسائل التى تريح وتخفف ولا تجازى الا نادرا . . . وهى وسائل لم يكن لها اى تأثير على ريتشارد لانه تعلم ان الألم ضلال وان الضلال لذة .

وشيع كارين دين حتى الباب الخارجى للفيللا وودعها . وعندما انطلقت بها سيارتها عاد الى الداخل فى بطء . ولكن الفكرة التى راودته ظلت عالقة بباله . لم تكن لديه أية أسباب حقيقية تحمله على الارتياب فيها فيما عدا انها أمريكية وانها عرفت كاترين . . . او

تزعم انها كانت تعرفها ... وكان واثقا تقريبا من أنه لم يسبق أن رآها قبل اليوم ، والا لتذكرها دون أى شك . ومن جهة أخرى ، اذا كانت علاقتها بكاترين غير متينـــة كما زعمت فلماذا كلفت نفسها عناء البحث عنه .

ومضى الى التليفـــون وأدار الرقـــم الـــذى على البطاقة . وأجابه صوت يقول : هنا شركة فيبستا للنسيج » . فسأله عن كارين دين .

ـــ انها غير موجودة الآن . من الذى يطلبها من فضلك ؟

ـــ لا اهمية لذلك .

وأعاد السماعة . ولاحظ عندئذ أن بيو يقف خلفه . وكان الخدم صامتين ومهذبين . وكان هـــذا يروق له عادة ، ولكنه أحنقه الآن . وقال فى صوت جاف :

ـــ ماذا هناك ؟

لم يكن بيو غبيا . وسوف يتساءل طبعا لماذا يحاول سيده الاتصال بزائرة بيته منذ لحظات :

ـــ معذرة يا سيدى . قلت لى انك تريد أن أمضى بك الى المدينة فى الساعة الثالثة .

ـــ اننى غيرت رايى .

كانت الشهادات التى جاءه بها ممتازة ولا غبـــار عليها دون أن تكون كفيلا له ، فقد كان يمكن أن تكون ستارا له ، وان يكون من رجال البوليس الأمريكى . ولكن هل يستخدم البوليس مثل هذه الوسائل الملتوية اذا كان قد كشف شيئا غريبا حقا . ولكن اذا حدث هذا فما الذى اكتشفوه ؟ لقد خطط لجريمته بكل عناية ، ونفذها فى حرص كبير ، ولم يكن فيها أى صدع .

كلا . ليس له أن يقلق . انما كان يريد ان يحس باحساس الخطر ولا أكثر ، فان قلقا خفيفا يضاعف من الجزاء الذى فرضه على نفسه .

وقرر أن يدرس اللغة الاسبانية دراسة جدية . وكان المدرس الذى ألحقه بخدمته ، ويدعى رامون سانشيز قد كتب له خطابا سليما قرأ بين سطوره شبه توسل لحوح . وقد استغرب ريتشارد السهولة التى يحصل بها على كل ما يريد . ومجرد اشاعة أن الفيللا قد استأجرها رجل ثرى كانت تذلل له كل شىء . فقد وجد بيو ومرجريتا أمام الفيللا عند قدومه اليها ، وما أن تحدث مع رامون حتى لم يجد سببا يمنعه من استخدامه . وقد قام ذلك الرجل فى صدر شبابه بادوار ثانوية فى بعض الأفلام المكسيكية ، وقام كذلك بتجربة فى هوليود لم تؤت ثمارها ، ومنذ ذلك الوقت وهو يعيش كيفما اتفق على هامش الأعمال المسرحية . وكان عادى المظهر لا يميزه شىء غير صوته ، فقد كانت فيه كل الايقاعات الموسيقية للغة الاسبانية ، وهو الذى دفع ريتشارد الى أن يثق فيه .

وفى اليوم التالى ، عندما جاء رامون شانشيز فى الساعة المحددة بدأ على استعداد كمرجريتا لذرف الدموع ، وقال لريتشارد أن صاحب البيت طرده من مسكنه لأنه فاجأه وهو يغازل زوجته ، وأنه ، من ناحية أخرى ، خسر كل نقوده السائلة فى الميسر فى الكازينو ، ولم يعد أمامه الا أن يهرب ويلجأ الى أخته فى نيراكروز الا اذا . . .

وكان ذلك أمرا مزعجا جدا ، فان ريتشارد لم يكن يريد أن يبحث عن مدرس آخر ، فقد كان يقدر رامون ، وعرض عليه وهو يعلم تماما أنه يخل بالعهد الذى قطعه

على نفسه ، أن يبقى معه فى الفيللا مؤقتا ، فانه لمن السهل ان يجده تحت يده ، وخطر له انه يستطيع أن يتكلم الاسبانية بطلاقة بعد شهر واحد .

وكان تدبيرا جميلا . واحس ريتشارد بأنه اصبح اقل وحدة ورامون فى رفقته فى البيت . وكان فى استطاعته أن يعامله فى الفة أكثر مما لو كان خادما . ومع ذلك فان رامون بصفته موظفا كان يبدى احتراما كاملا . وتتابعت الدروس بطريقة مرضية .

وبعد اسبوعين اتصل ريتشارد بكاريل دين فى التليفون ، فقيل له انها فى نيويورك . وترك اسمه .

وعندما طلبته بعد ذلك بأسبوع ، دعاها لتناول الغداء فى الفيللا « لكى تتحققى مما أصبت من تقدم فى اللغة الاسبانية » .

أما غرضه الحقيقى فكان غير ذلك .

ولما كان لا يريد أن يبقى وحده معها فقد طلب من رامون أن ينضم اليهما . وكان المثل القديم محدثا لبقا وظريفا . وكان لوجوده معناه ، وهو ان هذه الدعوة لم يكن هدفها أن يكون وحده مع كاريل .

ومر كل شيء على ما يرام . وبدا رامون مفتونا بجمال كاريل دين . وفاجأه ريتشارد وهو يرميها بنظرات كلها وله . واعجبت كاريل دين بتقدم رتشارد فى اللغة . ودبروا نوعا من المباريات فى الحديث باللغة الاسبانية ، واشترطت عدم اللجوء الى اللغة الانجليزية . وعندما كانت تنطق بعبارة مسرعة شيئا ما كان يهز رأسه وهو ينظر اليها فى أسف .

واقترح ريتشارد ان ينتقلوا الى صالون صغير لاحتساء القهوة . وعندما ضمهم الصالون أمسك بصورة موضوعة فوق منضدة دون أن يبدو عليه أنه تعمد ذلك .

وكان قد سبق أن وضعها فوق المنضدة صباح اليوم بالذات . وناولها لكاريل دين وهو يقول :

ــ هذه الصورة التقطت لكاترين قبل موتها بأسبوع . .

وكان هذا صحيحا ، ولكن المراة التى فى الصورة لم تكن زوجته وانما كانت أخته ، ولم يكن بينها وبين كاترين أى شبه .

ونظرت كاريل الى الصورة فاحصة ثم قالت :

ــ أنها كانت جميلة دائما ، وهى لم تتغير كثيرامنذان عرفتها . مسكينة كاترين .

ارتعشت يد ريتشارد رعشة خفيفة وهو يسترد منها الصورة لكى يضعها فوق المنضدة .

وعندما شيعها حتى الباب نظرت اليه وعلى شفتيها ابتسامة خبيثة فاتنة وقالت :

ــ هل من عادتك أن يكون هناك دائما شخص ثالث عندما تستقبل امرأة ؟ .

ــ خطر لى أنه قد يروق لك .

ــ هل تخاف من النساء يا ريتشارد ؟

ــ انهن مخلوقات يحف بهن الخطر احيانا ، وخصوصا الجميلات .

ــ أنك تطرينى .

ــ أبوصفى لك بأنك خطرة او بأنك جميلة .

ضحكت واستدارت لكى تركب سيارتها وقالت :

ــ هل فكرت فى فييستا ؟

ــ هل تتكلمين جديا ؟

ــ اننى لا أهزل أبدا . يجب ان نكون وحدنا المرة القادمة يا ريتشارد . . . وحدنا لا ثالث لنا .

وعندما عاد الى الفيللا ابدى رامون اعجابا شديدا بها وقال :

ــ ولكن كن على حذر يا سينور ، فقد عقدت النية على أن تظفر بك .

قال ريتشارد وقد صدمته هذه العبارة :

ــ تظفر بى ؟

ابتسم رامون . كان فخورا بأسنانه ، فهى على الاقل لم ينل فيها الزمن .

ــ أنها سألتنى عنك ألف سؤال .

ــ ألف سؤال ؟

وراح قلب ريتشارد يدق سراعا .

ــ ماذا تفعل وبمن تلتقى ، وفيم تدور أحاديثك . من حسن حظك يا سينور أن تهتم بك امرأة مثلها ، وأنك لها لصيد ثمين .

واصدر ريتشارد أوامره ، فهو غير موجود دائما اذا ما سألت كاريل دين عنه ، وهذا ما فعلته كل يوم تقريبا .

وفى ذات صباح كان يستحم عاريا فى البحر كعادته ... فى الجون الصغير الذى يقع تحت الفيللا . واذ أحس بالتعب صعد كما يفعل دائما وتمدد فوق صخرة كبيرة منبسطة كالفراش ، وعرض جسده لأشعة الشمس راقدا على ظهره . وكانت هذه عادة يومية له . وكان يحس بالأمان كما لو كان هو نفسه جزءا من العناصر والصخور والبحر والسماء التى بدت كأنها هنا لكى تحميه من كل قوة معادية . وكان متمددا تحت أشعة الشمس ، عاريا ، وقد تحرر من كل قلق واضطراب فيما يتعلق بماضيه ومستقبله .

ــ هل استطيع أن اقاسمك محيطك ؟

ومن خلال زجاج نظارته الملون انفتحت عيناه ، متسعتين ، وفى حركة واحدة جلس وغطى عريه بالمنشفة .

كانت واقفة امامه على الدرجات المنحوتة فى الصخر .

ــ أرجو المعذرة يا ريتشارد فلم يكن فى نيتى أن اتطفل .

كان غاضبا . ما كان يجب أن يدعها بيو تأتى حتى هنا .

ــ ان البحر شديد الاغراء ، وارجو ان لا اضايقك . هل أستطيع أن استعمل هذه المنشفة الثانية عندما أخرج من الماء .

نطق ببضع كلمات دون افراط فى الرقة ، ثم تمدد ثانية . والشمس التى وجدها حتى تلك اللحظة دافئة جعلته يتفصد عرقا . وعندما رفع رأسه وجد ثياب كاريل فوق صخرة مجاورة . أما هى فكانت فى الماء ، ورأى كتفيها العاريين يبرقان من بعيد .

وحاول دون جدوى أن يتغلب على احساس بسرور عصبى ، ونظر الى الفيللا وهو يتمنى فى قرارة نفسه ان يخف بيو أو رامون أو مرجريتا لنجدته ، وان يأتيه احدهم مثلا فى أمر هام .

ولم يسعه الا أن ينظر اليها وهى تخرج من البحر . كان لها جسد فاتن . والتفت فى المنشفة الكبيرة ، وجلست بجواره على الصخرة ، وراحت تنفض الماء عن شعرها .

وقالت فى ابتسامة شاكية : يبدو انه صدر منى شىء غير سليم ، ولكننى لا أعرف ما هو ، فأخبرنى به أنت يا ريتشارد .

ــ ولكنني واثق أنه لا يمكن ان يصدر منك اى شيء غير سليم .

ــ اذن لماذا تصر على أن تتجنبنى ؟

ــ ليس هذا صحيحا .

ــ أنك تثير حيرتى يا ريتشارد . احيانا تبدو كأنك من حجر ، وأظن أنك تستطيع عندئذ مواجهـــة أى جزع ، وأن تقدم حتى على جريمة القتل .

وقته النظارة الســوداء ، ولم تستطع ان تسمع خفقات قلبه الغاضب ، وجعله الغضب يتهور فجأة فقال :

ــ ماذا تنتظرين مني يا كاريل ؟

ألقت اليه نظرة فاتنة وقالت :

ــ الا تعرف ذلك ؟

ــ كلا . وددت لو أن تخبرينى بذلك فان هذا يسهل الأمور .

ــ ولكن سبق ان اطلعتك على ذلك . اريد أن اضمك الى شركة فييستا .

ــ أهذا كل شيء ؟

ــ ماذا دهاك هذا الصباح يا ريتشارد ؟

قال محاولا أخفاء استيائه :

ــ حسنا . ولم لا ؟ ولكنك لا تعرفين عنى شيئا على الاطلاق . الا اذا كنت قد استعلمت عنى .

ــ قليلا ، وهذا يضيرك طبعا .

القط والفأر ... لو أن هذا حــدث له فى أوكلير لاستولى عليه الفزع . ولكن هنا ، وأمام البحر وتحت قبة السماء الزرقاء ، بدا له أن الأمر ليس بأخطر من لعبة أطفال .

ــ ولماذا يضيرنى ذلك ؟ ... ليس هناك ما أخفيه .

ـ أبعد هذه المنشفة اذن ، وتعال هنا .
وتملكه الاضطراب ، والقى نظرة أخرى الى الفيللا .
وفيما بعد ، بعد أن ارتدت ثيابها وتأهبت للانصراف قالت فى صوت عذب :
ـ كان يجب أن أعرف يا ريتشارد .
ـ ماذا ؟
ـ اذا كنت مخلوقا بشريا .
وابتسمت وهى تستطرد قائلة :
ـ وأنت كذلك حقا . مسكينة كاترين !
نظر اليها وهى ترتقى الصخور وقال :
ـ ماذا تعنين بمسكينة كاترين ؟
ـ مسكينة لأنها اضطرت أن تفقدك .

احس بأنه ليس معصوما ، وان غرائزه قد خانته ، فليس هناك أشد قسوة من الرغبة الجنسية ، وقد احس منذ البداية بالميل اليها . وكان يجب عندئذ أن يستمع الى صوت العقل ، والى احساسه فيسارع بالهرب . وكانت السماء لا تزال صافية ، ومع ذلك فقد بدت خطرة متوعدة ... وتحولت الدنيا الى فخ كبير .

كان لابد له أن يعرف موقفه وان يهتدى الى خطة لكى ينفذها . ولأسباب غامضة طلب منها البقاء لتناول الغداء . فعلى الرغم من الخطر الذى تمثله كان يعرف انه لا يزال يشتهيها ، أو لعله كان يعتقد انه يستطيع ان يستعيد المبادرة وأن يثنيها عن مشروعها .

ولم يستطع احتمال رؤية رامون وهو يضحك ويهرج أمامه ، فلم يعد الموقف من تلك المواقف التى يمكن للضحك والتهريج تهدئتها والتخفيف من حدتها ، ولهذا ارسله الى المدينة لكى يأتى بزجاجة من الشمبانيا .

وكان كل ما استطاع أن يقدمه لها ف انتظار ذلك كأسا من النبيذ الاحمر العادى ، ولكن بدا انه راق لها جدا ، كما راق له هو الآخر ، ف البداية على الأقل ، قبل أن يشعر بأن راسه راحت تدور بصورة غريبة ، وأخذت الاشياء الموجودة ف الغرفة تتراقص أمام عينيه ويختلط بعضها ببعض .

ــ هل تشعر بشيء يا ريتشارد ؟

وأرسلت الشموع انعكاسات زرقاء وخضراء . وراح وجه كاريل يتموج أمامه ، وذابت قسماته أخيرا ف قرص من الشمع لا شكل له .

وسمعها تقول :

ــ بيو ... ساعدنى ف نقله الى الأريكة ... فك ياقة قميصه .

وراح وجه كاريل يسبح حوله كما لو كان يراه من خلال طبقة سميكة من الماء .

ــ أنهم أرسلوك طبعا . اليس كذلك ؟

ــ ريتشارد ... ماذا تعنى ؟

ــ قولى لى ولا تتلاعبى بى ... انهم ارسلوك ؟

ابتعد وجه المرأة الشابة كما لو أنه يغرق ف الأعماق حتى اللحظة الأخيرة التى لم يستطع أن يراها فيها من خلال الماء الأسود اللزج . ومع ذلك فقد ظل يحرك شفتيه لكى ينطق بكلمات اتهام لم يجد القوة لكى ينطق بها .

واستيقظ ف فراشه فيما بعد . وأحس بالم ف راسه، وشعر بأنه لم يعد قطعة واحدة .

وظهرت مرجريتا ، والقت نظرة من غير أن تتكلم ، ثم دخلت كاريل دين الى الغرفة فنظر اليها مشدوها وقال :

— ماذا حدث لى ؟
— أظن أنك أكلت شيئا فاسدا . لقد تملكنى الخوف حقا يا ريتشارد . وقد أقبل الطبيب ، وأجرى غسيلا لمعدتك ، وقضيت أنا طوال الليل بجوارك .
— طوال الليل ؟ ... هل تعنين اننى بقيت غائبا عن الرشد ... ساعات ؟
ابتسمت وجست جبينه ثم قالت :
— ساعات وساعات ... بماذا تشعر الآن ؟
— أشعر بأننى مفتت الجسم .
وحرك أصابع قدميه ودهش اذ رآها لا تزال متماسكة فى قدميه .
— سوف يزول هذا .
وادنت مقعدا وجلست بجواره .
— ريتشارد ... عندما أحسست بوعكتك نطقت بشىء عجيب ... قلت « أنهم ارسلوك » . وقد قلت هذه العبارة اكثر من مرة ... أنهم ارسلوك ... فماذا كنت تعنى ؟
من جديد .
— لا أتذكر اننى قلت شيئا من هذا القبيل .
— ولكنك قلت ذلك حقا ، وقد سمعك رامون وبيو أيضا .
— لا ريب اننى اصبت بمس .
— انك مازلت مضطربا بعض الشىء ، وقد ترك الطبيب لك هذا القرص . يجب ان تأخذه وأن تعود الى النوم .
كان قرصا أبيض عاديا بدا بريئا . ولكن لم يكن لكل هذا أى معنى فقد غاب عن وعيه يوما باكمله ، اذا كان ولابد أن يصدق كاريل . وناولته كوب ماء فوضع

القرص فى فمه ولكنه ازدرد الماء واحتفظ بالقرص بين شفته السفلى واسنانه . ثم ألقى راسه فوق الوسادة . وابتسمت له .

ــ نم الآن يا ريتشارد . سوف تشعر بتحسن .

وما أن خرجت حتى انتزع القرص من فمه ووضعه تحت الوسادة ، ثم نام واطبق عينيه . ومرت الدقائق ثم سمع الباب يفتح ، ووصلت الى أنفه رائحة عطر ، ولم تلبث ان جلست بجواره .

ــ ريتشارد !

ولم يجب فعادت تقول :

ــ **ريتشارد . هل تسمعنى ؟**

ــ نعم .

ــ حسنا . سوف تكون أحسن . اصغ الى الآن . عندما أصبت بتلك الوغكة قلت لى « انهم أرسلوك » . قلت لى ذلك يا ريتشارد ... انهم أرسلوك .

ــ نعم . وهم قد ارسلوك طبعا ... أعرف أنهم ارسلوك .

ــ هذا صحيح يا ريتشارد ... انهم ارسلونى حقا .

ــ كنت أعرف ذلك .

قالت :

ــ يمكنك ان تقول لى كل شىء اذن .

فتح عينيه وحدق فيها فى برود وسخرية ، فهبت واقفة :

ــ ان حيلتك لم تفلح يا آنسة دين . اننى لم آخذ القرص .

ودس يده تحت الوسادة ثم طوح بالقرص بعيدا .

ــ لا تكن غبيا يا ريتشارد ... انك قلت ما فيه الكفاية .

ــ تحت تأثير مخدر ؟ ... ذلك المخدر الذى دسسته فى النبيذ ؟ ... اخرجى من بيتى أيتها الدساسة .

نظرت اليه من عل ضاحكة وقالت :

ــ وهل تظن أنك ستنجو اذا طردتنى ... لقد انتهى الأمر يا ريتشارد .

ودارت على عقبيها وغادرت الغرفة .

وعندما غادر الفراش راحت ساقاه تصطكان فجلس على حافته واستعرض موقفه . لم يشعر بغير جزع يسير فقد أعد لكل شىء عدته ، وكان قد دبر أمره لمواجهة مثل هذا الاحتمال .

ودق الجرس لاستدعاء بيو ، وأخذ يتمرن على المشى فى انتظار قدومه ، وأحس بقواه تعود اليه . كان اليخت معدا ، وكذلك النقد السائل . وعندما دخل بيو قال له انهما سيبحران على الفور . ونظر بيو اليه فى ذهول فقال :

ــ اننى سأجزل لك العطاء يا بيو ... ولكن لا تقل شيئا لأحد ، ولا حتى لمرجريتا . كل ما نحن بحاجة اليه موجود فى اليخت ... هل انصرفت الآنسة دين ؟

ــ نعم .

ــ لا تقل شيئا لسانشيز . أسرع الآن ... ساعدنى فى ارتداء ثيابى .

لمعت عينا بيو ، كان مستعدا لكل شىء ، وكان يعبر اليخت .

سوف يجد ريتشارد كل الوقت للتفكير ، وسوف يجد الغلطة التى صدرت منه ، والصدع الذى أصاب خطته المتقنة ، ذلك الصدع الذى مكن شخصا آخر من اكتشاف جريمته . بدا له ذلك مستحيلا ، فلا أحد ، ولا حتى أخلص أصدقائه اشتبه فى أى شىء . وحتى

الطبيب نفسه لم يشتبه فى الأمر ، والبوليس لم يحدس شيئا . ومع ذلك فان غلطة صغيرة ونقطة تافهة فضحته ، أو على الأقل ، دفعت البعض الى استجوابه .

وبعد نصف ساعة كان على ظهر اليخت . وكان بيو واقفا أمام الحاجز ، والفيللا خلفهما تتلألأ بكل بياضها فى أشعة الشمس الغاربة . ولم تلبث ان اختفت ولم يظهر غير سطحها ثم اختفت نهائيا وتلاشت فى الماضى .

وكانت كاريل دين وراموز سانشيز قد خرجا الى الشرفة عندما تأكدا أن رينتشارد لن يراهما ، وراحا ينظران الى اليخت وهو يختفى فى الأفق .

وتكلم سانشيز أخيرا فقال فى مزيج من الاعجاب والحيرة :

ــ انك كنت على حق اذن .

قالت فى زهو مشوب بالتواضع :

ــ كان يجب أن نتأكد .

قال سانشيز فى اقتناع :

ــ كنت على استعداد لأن اقسم انه لم يشك فى شيء ، وكنت مستعدا لأن اقطع ذراعى لفرط اقتناعى بذلك .

ــ الحمد لله انك لم تفعل .

ولكنه عاديقول فى اصرار :

ــ ولكننى كنت على حق فى غرفة الفندق ، لقد رايته ، ولم يستطع هو أن يرانى ... رايته ينظر الى الغرفة بعد أن انتزع جوان تلك المرأة الشرسة من بين ذراعيه . انه راى كورتازان راقدا هناك ، وكنت واثقا انه حسبه سكران ولم يخطر له انه ميت . كانت امارات الضيق مرتسمة على وجهه بسبب الموسيقى ولا شيء

أكثر من ذلك ، واننى لأقسم بأنه لم يشتبه فى شىء .
سألته كاريل : ولكنك تبعته مع ذلك .

ــ نعم ، فقد لقيت نصيبا كبيرا من التدريب مثلك تماما يا سينوريتا . اقتفيت أثره منذ اللحظة التى غادر فيها الفندق . أنه تناول العشاء فى أحد المطاعم ، ثم ذهب بعد ذلك الى مشرب ، ولم يتكلم فى التليفون ، ولم يتصل بأى شرطى . وعندما هرب لكى يأتى هنا بمعية نيشو ، ومع ذلك فقد كنت مقتنعا تماما بأن كل هذه الاحتياطات انما هى مضيعة للوقت .

انحنت انحناءة بسيطة وقالت ضاحكة :

ــ ان ما قالته له المرأة لم يكن له أى معنى فى ذلك الوقت ، ودروسك فى الاسبانية قد أكدت انا ذلك . اما أنه كان يشك ان كورتازان كان ميتا واما انه قرأ على وجه المرأة شيئا أرغمه على ان يسأل نفسه .

ولكن سانشيز بدا غير مقتنع فأردفت :

ــ ليس لهذا أهمية على كل حال ، فهو لم يعد خطرا علينا . لن يستطيع الآن أن يذكر لأى أحد ما رآه أو ما خيل اليه أنه رآه .

ــ ولكن لماذا لم يلجأ الى البوليس .

بسطت يديها قائلة :

ــ ومن يدرى ؟ . . . انه رجل غريب الأطوار .

احست هى الأخرى بشىء من الفضول وودت لو أنها وجدت وقتا لكى تجلو الأمر ، ومع ذلك فان أى تأخير يمكن أن يكون خطرا . فان عملية تهريب المخدرات التى تقوم بها شركة فييستا متخذة تجارة النسيج ستارا لها كانت عملية تحف بها الأخطار . وكان كورتازان خائنا وقد فاجأوهما هو وزوجته فى ذلك الفندق وقتلوه ، وقبل أن يتمكنوا من التفرغ للسينورا كورتازان

أفلتت منهم واندفعت الى الطرقة وارتمت بين ذراعى رجل غريب . فهل فهم الرجل كلماتها الهستيرية ، وهل اشتبه فى شىء مما يدور فى الغرفة . اذا نظرنا الى تصرفه بعد ذلك فيبدو أنه لم يشتبه فى شىء . ولكن زعيم العصابة الاجرامية كان رجلا دقيقا جدا وحريصا الى أبعد حدود الحرص ، وقد أصدر تعليماته لكاريل دين لكى تتأكد من أمر هذا الأمريكى . وكانت هى الأخرى تميل الى الاعتقاد بأن كل ذلك مضيعة للوقت حتى اللحظة التى نطق فيها ريتشارد بهذه العبارة « أنهم أرسلوك » ، وعرفت عندئذ ما يجب عليها أن تفعل ... سيهتم به بيو فوق سطح اليخت ... وستقوم أسماك القرش بالباقى .

وابتسمت لسانشيز ببساطة وهى تأخذ من حقيبتها بعض أدوات التجميل ، وتضع بعض اللمسات فى رموش عينيها وقالت :

ـ لعله لم يذهب الى الشرطة لأنه لم يشأ أن يورط نفسه ، أو لعل هناك ما يخفيه مثلنا ... لن نعرف ذلك أبدا .

ونظر الى البحر بضع لحظات أخرى ثم حولا بصرهما عنه فقد تجمعت السحب فى الافق كسحابة من النار خرجت من كرة الشمس المتأججة .

ولم يعد هناك ما يريان .

* * *

بدون قيــــود

كانت الغابات معتمة وباردة ومبتلة ، بعد هطول المطر الأخير . واحس الرجل المسن بالطراوة والرطوبة على وجهه ، وعلى يده اليسرى ... ولكنه لم يحس بهما فى أى مكان آخر من جسمه ، ففيما عدا تلك اليد اليسرى الملقاة فوق مسند مقعده المتحرك كان مشلولا ، من قمة رأسه الى أخمص قدميه .

لم يكن يعرف هذه الغابات على الرغم من انه اقام فى حدودها منذ ثمانية عشر عاما ، فلم تأت به أى من ابنتيه العزيزتين . اليها أبدا . ولكنه قضى الساعات ، تلو الساعات فى شرفة بيته ، يتأمل ذلك الخط الأخضر الطويل الذى لا نهاية له ، وهو يتساءل ما الذى هناك بعد ذلك ويتمنى أن يذهب اليها ... وحده ... كان هذا هو أهم شىء ... وحده .

وقد حانت الفرصة اليوم أخيرا .

وكان اليوم يوم خميس ، وكانت ابنته مادلين قد خرجت منذ ساعتين لتتسوق حوائج البيت . أما ابنته الأخرى كارولين فقد ذهبت الى تلك الندوة الأدبية التى اعتادت الذهاب اليها كل يوم خميس . ثم أن العادة المتبعة قد شذت عن المألوف فى ذلك اليوم ، فان مدام جريجور ، التى كانت تعنى به حتى تعــود ابنته فى الساعة الخامسة لم تأت على الاطلاق .

ولم يدر لماذا لم تأت ، ولم يهتم بذلك . بل انه هنأ نفسه بكل بساطة ، فقد مضت ثمانية عشر عاما منذ أن

وقعت تلك الحادثة .. منذ ذلك اليوم الذى صدمهما ذلك السائق الثمل الأرعن بسيارته الكاميون ، هو وزوجته ، فأوقعهما على الأرض المبتلة بالماء وقتلها على الفور ، وأصابه هو فى عموده الفقرى وشوهه الى الأبد ... ثمانية عشر عاما . وها هو قد أصبح الآن وحده ، ولا أحد معه فى الغرفة المجاورة . وأصاخ السمع ... ليس هناك أحد فى البيت كله لكى يأتى فجأة ويرى ان كان بحاجة الى شىء ... انه وحده ... وحده .

ولم يكن الخروج من البيت بالأمر السهل ، فقد كانت كل الأبواب المؤدية الى الشرفة مفتوحة .. ولكن الباب الوحيد المؤدى الى المنحدر الذى اقيم خصيصا مكان سلم الخدم كان موصدا بعارضة من الخشب مثبتة الى الحائط بواسطة رزة . ولكن لم يكن باستطاعته أن يفتحه مع ذلك .

بيد أنه كان قد عقد العزم على الخروج ، وقد أفلح . فقد كان المقعد المتحرك مزودا بمحرك واجهزة بذراعه اليسرى بحيث انه اذا ضغط بسبابته على بعض مفاتيحه استطاع أن يحركه الى الأمام أو أن يعود به الى الخلف . ثم ان به حلقة يستطيع اذا عالجها بيده اليسرى أن ينتقل بالمقعد من غرفة الى اخرى ، وأن يندفع به الى الافريز عندما تخرج به كارولين أو مادلين لكى يقوم بنزهته اليومية القصيرة . وقد أقامتا صعوبات كثيرة قبل أن يقدما له هذا المقعد ، ولم يكن هذا يرجع الى سوء نية منهما ولكنهما كانتا تخشيان عليه ، وكانتا تعاملانه كما لو كان طفلا ، وقد توسل اليهما وأصر واستعطف حتى قبلتا أخيرا .

وبناء على ذلك فقد وقف بمقعده على بعد ثلاثة أمتار من الباب الموصد ثم ضغط على احد المفتاحين ، واندفع بالمقعد الى الأمام فارتطم بالباب فى قوة ثم ارتد الى الخلف لكى يتخذ وضعه الأول . وقام بهذه المحاولة ست أو سبع مرات قاومه فيها الباب ولكن الرزة طارت من مكانها فى المرة التالية وانفتح الباب وهو يهتز ، فهبط المدرج واجتاز الفناء فى بطء متجها نحو الغابة . ولم يلبث أن بلغها .

وكان ينطلق الآن فى جوف الغابة ، بين الأشجار . ولم يعرف اين ذهب بالضبط ولا كم من الوقت مر به . وكانت الأصوات الوحيدة التى تتناهى الى أذنيه هى زقزقة العصافير وصوت العجلات المطاطية لمقعده وهى تنزلق فوق الاوراق المبتلة . وبلغ دغلا سميكا لو انه كان يستطيع أن يقف على ساقيه لتمكن من دخوله ، ولكن كان يتعذر عليه أن يتقدم بالمقعد بداخله . وعالج جهاز التوجيه ، ومشى بمحازاة الغابة ودار ببعض الأشجار ، وبلغ أخيراً مرجة كبيرة تبلغ مساحتها مساحة ملعب لكرة القدم .

كان السكون المطبق يخيم على هذا المكان الهادىء . وابتسم العجوز ابتسامة مبهمة وهو يتذكر وجه امرأة أخرى منذ سنوات طويلة ، ومارتا جالسة الى جواره فوق ملاءة ، ولمسة شفتيها ونعومة شعرها ، ثم لم تلبث أن امحت الابتسامة عندما حلت محل كل ذلك تلك الذكرى التى مازالت حية لتلك الليلة التى صدمتهما فيها السيارة ذات العينين الصفراوين ، ولكنه سرعان ما أبعد هذه الذكرى عنه ، وكان قد عرف كيف يبعدها عنه خلال السنوات الماضية .

وانطلق الرجل خلال المرجة ، ورأى من خلال الأشجار التى تحدها من الناحية الأخرى انعكاس الماء الرمادى الكامد فحول وجهته ، وتقدم فى انحراف نحو بقعة من الأرض ، مرتفعة بعض الشىء ، أفضت به الى دغل غير كثيف . ووجد نفسه على حافة جرف وعر يعلو بنحو ستة أو سبعة أمتار واديا صغيرا ، فى وسطه بركة صغيرة يسبح فيها ثلاث بطات كانت تبدو كما لو كانت لعب أطفال فى دلو كبير ، وتحد البركة من الجانبين الأعشاب والطفيليات .

ووقف لحظة يتأمل البطات ، وارتفعت احداها فجأة ، وفردت جناحيها وضربت بها سطح الماء ، ثم طارت وراحت تشق طريقها نحو السماء المفتوحة بدون أية قيود .

وترك ذقنه تتهدل على صدره وهو يتنهد فى هدوء . وعندما رفع عينيه رأى شيئا يتحرك فى أسفل ، على يساره ، بين الأشجار القريبة من البركة ، فقطب حاجبيه ، وبعد لحظة ظهر شاب وفتاة بالأرض المكشوفة ويد كل منهما فى يد الآخر ، وراحا يقتربان من الشاطىء فى طريقهما اليه .

وحسبهما عاشقين ... ولكنه لم يلبث أن أدرك فى انفعال أن الفتاة كانت تقاوم الشاب وتحاول أن تحرر يدها من قبضته . ولكن الشاب كان يتقدم فى جهد كبير وهو يجرها تقريبا . وفى صمت الغابة سمع العجوز صوت الفتاة الحاد يقول فى فزع شديد :

ــ دعنى .. أرجوك .. دعنى .. لن اقول شيئا لأى احد .. رحمة بى .

ولكن الشاب تحول اليها وامسكها من ذراعها بيده الأخرى وراح يهزها فى عنف وهو يقول :

ــ اصمتى .. هل تسمعين ؟.. اصمتى .

راحت تبكى وهى تطوح براسها ذات اليمين وذات الشمال فيصدر من شعرها تموجات ساخرة :

ــ انك تريد أن تقتلنى .. اعــرف انك تريد أن تقتلنى ... ستقتلنى ، بعد أن تفرغ منى .

صفعها فى قوة ، ودوت الصفعة كما لو كانت طلقة مسدس . وقال :

ــ سوف أقتلك فعلا اذا لم تصمتى .

واحس الرجل العجوز بالغضب يسرى فى كيانه ، وهو غضب لم يعرفه منذ وقت طويل . وصعد الدم الى صدغيه . وامسكت يده اليسرى بمسند مقعــده المتحرك ، وقال : لو ان لى ساقين ... لو اســتطيع ان امشى واستخدم جسدى .

واتلع عنقه الى الأمام وفتح شفتيه وصاح :

ــ أنت يا من هناك !.. دع هذه الفتاة .. دعها وشأنها .

حول كل منهما راسه فجأة ، ورفعا عينيهما الى اعلا . ورأياه . وصاحت الفتاة دون أن تدرى أنه فى مقعد متحرك ، بينما شد الرجل العجوز جسده فى عربته كمــا لو كان يحــاول التخلص من قيــوده ، ولا يستطيع منها فكاكا :

ــ النجــدة !

وكان وجه الشاب يعلوه النمش . وحرر يده اليمنى

وضرب الفتاة بقبضته فى عنف ، فوقعت كما لو كانت قد تفككت ، وبقيت مكانها لا تتحرك . وتحول الشاب الى الرجل عندئذ وهو يدس يده فى جيب سترته واخرجها بمسدس صوبه نحو العجوز وهو يجرى نحوه .

ولم يلمس الرجل جهاز مقعده ، وانما بقى مكانه لا يتحرك وقد ضم شفتيه فوق أسنانه ، وقست عيناه وارسلتا بريقا وحشيا وهو يتابع مجهودات الشاب لكى يصعد المنحدر الصخرى الذى تكسوه الأعشاب . كان فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ، طويل القامة ، بارز تقاطيع الوجه ، ذا شعر أشقر مجعد . وفجأة أدرك الرجل العجوز انه أمام راستى جانيس . وهو مجرم هارب .. قاتل ولص .. وأن رجلين هاربين قاما بمذبحة فى المنطقة . وكان الآخر قد وقع فى قبضة البوليس منذ يومين . ولكن جانيس استطاع أن يهرب ، وكان البحث عنه لا يزال جاريا . وكان الرجل العجوز يعرف كل هذا لأن الشىء الوحيد الذى بقى له من ملذات الدنيا ومسراتها هو التليفزيون ، وقد رأى صورة جانيس اكثر من مرة اثناء نشرة الاخبار

بلغ جانيس اعلا المنحدر ، وتوقف على بعد خمس خطوات من الرجل العجوز وهو يصوب مسدسه اليه . ومسح فمه بكم سترته وقال :

ـــ مشلول .. عجوز مشلول فى مقعد متحرك ... انك لا تفتقر الى الشجاعة يا جدى العجوز . هل تريد أن تصيبنى بالجنون بصياحك هذا ؟

قال الرجل العجوز فى قسوة :

ــ دع الفتاة وشأنها يا جانيس .

ــ آه . هل تعرف من أنا ؟ . . . حسنا يا صديقى . هل تعرف معنى هذا ؟ . . معناه انه يجب أن اتخلص منــك .

عاد الرجل العجوز يقول :

ــ دع الفتاة وخذنى أنا رهينة بدلا عنها . انك تحتفظ بها لهذا الغرض ، أليس كذلك ؟ . . . اقتلنى عندما تغدو حرا وبعيدا عن متناول البوليس .

ضحك جانيس فى جنون وقال :

ــ حقا . . . انك رجل عجيب يا جدى العجوز . . رهينة فى مقعد متحرك . . . أتريد منى أن أدفعك بهذا المقعد . . . انك عجيب حقا .

ــ اقتلنى اذن ، ودعنا نفرغ من ذلك الآن .

قال جانيس وهو يرفع مسدسه على الفور :

ــ سوف أفعل بكل تأكيد .

ضغط الرجل العجوز بكل قواه على المفتاح الذى يدفع المقعد الى الأمام فانطلق المقعد فجأة . . . فجأة بحيث وقف جانيس لحظة كالمصعوق لفرط الدهشة . وعندما أوشك المقعد أن يرتطم به تقريبا حاول أن يتنحى عنه وهو يضغط على الزناد فى نفس اللحظة . وانطلقت الرصاصة محدثة دويا شديدا فى أذنى الرجل العجوز ومرت بجوار أذنه كالقنبلة . وفى نفس الوقت ارتطم السلم المعدنى للمقعد المتحرك بركبة جانيس ، فأفقده توازنه وطوح به الى الخلف نحو المنحدر .

وأفلتت من شفتيه صيحة حادة انقطعت فجأة عندما ارتطم جسده بالأرض الصلبة ووقع المسدس

من يده . وأوقف العجوز المقعد على بعد سنتيمترات من الحافـــة ورأى جانيس يتدحـــرج وينزلق على الأرض الصخرية . وتحطمت رأس الشاب فوق حافة صخرة حادة ثم هوى فوق صخرى أخرى ، وانبعثت من جسده هذه المرة فرقعة مدوية ثم توقف عن الحركة على مقربة من البركة . وسال الدم من رأسه ومن ركن مخـــه .

وابتعد الرجل العجوز عن حافة المنحدر فى حرص وارتد الى الخلف . وبقى رابط الجأش ، وسط الصمت المطبق ، وقد تحولت عيناه نحو الفتاة . كان من المتعذر عليه أن يهبط اليها ولم يكن باستطاعته أن يفعل شيئا فيما عدا الانتظار . وتحركت أخيرا ، وتكومت مكانها وأمسكت ذقنها وقد ارتسمت فى عينيها امارات الحيرة والذهول .

واحس الرجل العجوز عندئذ بشىء من الارتياح وقال :

ــ يا آنسة . . يا آنسة . .

جلست وأدارت رأسها ، ونظرت الى الناحيـــة التى اتى منها الصوت ، وعندئذ فقط بدا أنها تذكرت أين هى ، وما حدث لها وتسبب فى فزعها . فوقفت على قدميها وهى ترتعش وتتهيأ للفرار .

وصاح الرجل العجوز :

ــ لا تخشى شيئا . انه لن يستطيع ان يؤذيك الآن . لن يستطيع أن يؤذى اى احد . انظـــرى اليه صريعا هناك .

تأملت الفتاة جانيس ثم حولت عينيها عنه ونظـــرت

الى الرجل العجوز وقد تبدل فزعها الى خجل ، ولم تلبث أن بدا عليها الارتياح الشديد .

قال : اذهبى واستدعى البوليس .. آئت بهم هنا . سأنتظر اسرعى ..

ترددت كما لو أنها أرادت أن تقول شيئا ، ولكنها لم تلبث أن تحولت وراحت تجرى مسرعة حول البركة لكى تتغلغل بين الأشجار ، من نفس الطريق الذى اقبلت منه هى وجانيس . وتابعها الرجل العجوز بعينيه حتى اختفت عن ناظريه ، وتنهد عندئذ تنهيدة عميقة ، وبدا عليه الارتباك التام .

وفيما هو ينتظر راح يتساءل عما سوف يقول للبوليس عند قدومه . وهل سيستدلون من اسمه على شيء ؟ ... كلا . طبعا . فان ثمانية عشر عاما مدة طويلة . سوف يجد الصحفيون الصلة طبعا .. بين فريزر ، العجوز المشلول الذى أنقذ بمعجزة فتاة من الموت وقضى على مجرم خطير ... ان هو الابن فريزر الذى ظل طوال ثلاثة وعشرين عاما وهو يعمل ضابط بوليس فى العاصمة ، والذى كانوا يلقبونه بصياد الرؤوس ، بسبب اخلاصه لمهنته ورفضه البات التخلى عن أية قضية .

فكر فى سخرية ... التخلى عن أية قضية ... ولكنه تخلى عن كل شيء منذ ثمانية عشر عاما ... انه قضى طوال هذه المدة وليس فى راسه غير فكرة واحدة ، وهى أن يجد الوسيلة للافلات من مراقبةابنتيه الحريصتين ، لكى يفرغ بعد ذلك مما بقى له من حياة . ولهذا السبب بالذات جاء الى الغابة اليوم . لقد فكر فى هذا وهو واقف على شفا الجرف ، ينظر الى البركة

والى آلبطات الثلاث . ولولا قدوم جانيس والفتـــاة لضغط على مفتاح مقعده ، ولاندفع من عل الى اسفل الوادى ولتمدد هو نفسه فى ذلك المكان بدلا من جانيس.

وفكر فى الفتاة ، وفى تعبيرات وجهها قبل أن تعـــدو لاطاعته . ولأول مرة ، منذ موت مارتا ، ومنذ شلله عرف معنى الكرامة والامتنان وأحس بأنه أفاد الغير .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة . لن تكون هناك أفكار انتحار ثانية ، ولن يترحم على نفسه ... فى مقدوره الآن أن ينتظر .. فى مقدوره أن ينتظر فى ســـلام .

البراءة المزدوجـــة

راحت حبات العرق تتساقط فوق جبين بيرن ، وخيم صمت عميق فى المحكمة . ولم يكن الرجل بحاجة الى ان يدير راسه لكى يعرف أن أعضـــاء هيئـــة المحلفين يعودون بعد أن فرغوا من مداولتهم الطويلة . وحاول أن يبدو جامدا غير مكترث ، ولكنه أحس مع ذلك برغبة شديدة فى أن يراهم ينظرون اليه ، وهم يدخلون القاعة ، الواحد بعد الآخر ، فقد سمع ذات يوم انه اذا حاول المحلفون تجنب النظر الى المتهم فان معنى هذا انهم قد اعتزموا اصدار قرارهم بالادانة .

ومع ذلك ، فعندما نظر المحلفون الى بيرن لم يشعر هذا بأى ارتياح ، لأنه لم يستطع أن يخمن النتيجـــة ، ولم يستطع أن يفهم معنى النظرية التى ارتسمت فى عينى رئيسهم ، وهو جزار قاسى القسمات ، خاصة انه كان يخفى عينيه خلف نظارة لها اطار من المعدن . ثم ان الابتسامة الجامدة التى ارتسمت على وجـــه السيدة التى جلست بجوار الجزار ، وراحت تلمس تنورتها بأصابعها باستمرار كان يمكن أن تكون ابتسامة تبعث الاطمئنان ، كما كان يمكن أن تكون ابتســـامة شر مستطير .

ولم يذهب بيرن فى بحثه الى ابعد من هذا لأن مطرقة القاضى غطت على نبضات قلبه . وأشار محاميـــه ، هوجان ، اليه ان يقف ، وأن يواجه المحلفين .

وانحنى القاضى الى الأمام فى بطء وقال :

ــ أيها السادة المحلفون ... هل اتخذتم قرارا ؟

وقف رئيس المحلفين وأجاب فى خطورة :

ــ نعم ، يا سيدى القاضى ..

ــ وما هو ؟

ترك رئيس المحلفين شكا أخيرا يحلق فوق رؤوس الحاضرين ثم قال :

ــ اننا نقرر أن المتهم غير مذنب .

اندفع الصحفيون الى الخارج ، واحس بيرن بركبتيه تخذلانه ، ولكنه احتفظ بتوازنه . وهوى القاضى بمطرقته لكى يعيد الصمت ، واصدر حكمه ببراءة بيرن ، وشكر المحلفين فى برود ، ثم صرفهم . وسجل بيرن كل ذلك كما لو كان يراه خلال ضباب .

وجلس متثاقلا . وكان لابد له من بضع دقائق قبل أن يستطيع التركيز ، وتحول عندئذ الى محاميه وأخذ يد هوجان فى يديه وشكره فى صمت . وتحرر هوجان منه وأخذ يضع ملفاته فى حافظته المنبعجة .

وخلت قاعة المحكمة شيئا فشيئا . فيما عدا بضعة اصدقاء شقوا طريقهم نحو بيرن . وتوقفت عمتا زوجته امام الباب ووقف ميد معهما . وبدا هذا مرتبكا . وله الحق لأنه كان صديقا له وابن عم وشريك للمرأتين فى أعمالهما .

وصاحت أشدهما نحافة وهى تنظر الى بيرن فى عينيه :

ــ يا للعدالة !

وصاحت الثانية تقول :

ــ يا للسخرية !

ودارتا على عقبيهما وخرجتا فى وقار . وتبعهما ميد على مضض وهو يرمى بيرن بنظرة يائسة معناها :

ــ لا تسىء بى الظن على الخصوص .

وابتسم له بيرن ، ووقعت عيناه عندئذ على الملازم هاريس من البوليس الجنائى ، واختفت ابتسامته على الفور فان الملازم هاريس هو الذى ألقى القبض عليه وشهد ضده . وكان يقف معتمدا على عمود وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة . ومر بعض الناس ، وأخفوا الملازم عن عينى بيرن الذى تحول الى أصدقائه الذين يثبون فى حماس تقريبا متخطين الحاجز الذى يفصل القاعة عن المحكمة .

ونهض بيرن . كانت ساقاه لا تزالان ضعيفتين ، ولكنه لم يهتم بذلك ، فقد أحس فجأة بحاجته الى الهرب من هذا المكان ، ومن كل ما يثيره من ذكريات مؤلمة . ومع ذلك ، وبعد أن أصبح فى مقدوره الانصراف ومغادرة المحكمة واستنشاق هواء الحرية ، فقد تردد والتف أصدقاؤه حوله . مرتبكين يحاولون اخفاء القلق الذى يظهر فى أعينهم والذى يبدو فى تهانيهم .

ــ كنت أعلم انك برىء .

ــ كنا نعرف جميعا انك كنت تحب مادلون .

تنحنح بيرن وقال :

ــ المهم انكم وقفتم بجانبى فى محنتى . لن أستطيع ان أشكركم أبدا بما فيه الكفاية .

وتوتر وجهه فى ابتسامة ، وأردف يقول :

ــ لا تقلقوا . سوف أتغلب على هذه المحنة .

وضحكوا ، ولكن ضحكاتهم بدت جوفاء متكلفة فى جو المحكمة حيث ابدت أصوات مختلفة براعة كبيرة طوال فترة المحاكمة .

ورأى بيرن ميد يعود ، ونظر الى هوجان ، وكان منهمكا فى وضع أوراقه فى حافظته التى اوشكت أن تنفجر . وحول عينيه من جديد فاذا بميد بجواره .

ونظر هذا الأخير الى بيرن ، واشار ، فى حـــذر ، الى الباب الذى سبق أن خرج منه مع السـيدتين وقال :

ـــ اننى استدعيت لهما سيارة أجرة . واريد أن اقول لك اننى لم أصـــدق فى أية لحظـــة انك قتلت مادلون .

ـــ شكرا لك .

ونظر بيرن الى اصدقائه ، ثم تقدم خطوة الى الأمام وقال :

ـــ ما رايكم فى ان تأتوا لمشاركتى الشراب ... لنقل بعد ساعة ... ريثما أستعد ..

وسارعوا جميعا بالقبول فيما عدا هوجان . ونظر بيرن اليه وقال :

ـــ ما رأيك ؟

فقفل هوجان حقيبته فى حركة جافة وقال :

ـــ ليس من عادتى أن أرتبط بصداقات اجتماعيـــة مع عملائى .

ولكنه قال فجأة وقد بدا أنه اتخذ قرارا :

ـــ ولكننى سآتى ..

وابتسم ، وكان نادرا ما يفعل . وغيرت هذه الابتسامة وجهه الكئيب ، وأردف فى صوت خافت لم يسمعه غير بيرن :

ـــ انك تثير حيرتى اذا أردت الصراحة يا بيرن .. واسمح لى ان أقول لك ذلك الآن .

وكان هناك حاجب يراقب بيرن فى فضول ، فتبعه حتى باب الخروج . وأغلق الباب خلفه . ولم يعر احد من المارة بيرن اهتماما . وراح هذا يتنفس بعمق وقد أحس بالهدوء والارتياح لأن احدا لم يعرفه، ورأى الملازم هاريس يجلس فى عربته وقد بدا عليه الارهاق ، فأسرع بيرن الخطأ ، وبلغ العربة فى نفس اللحظة التى صفق فيها الملازم الباب ، وقال له :

ـــ طاب يومك ايها الملازم .

ورماه هاريس بنظرة كئيبة .

وهنأه أصدقاؤه بحرارة أكثر عندما أقبلوا الى بيته ... بل بحرارة أكثر من اللازم تقريبا . والواقع انهم راحوا يبذلون جهدهم لاظهار مرحهم وعدم اكترائهم لكى يقبلوه دون القاء اية أسئلة ، ولكى يبدو كما لو أن جريمة القتل والمحاكمة لم يكن لها وجود ابدا .

وجلس هوجان فى هدوء فى آخر الغرفة وراح يحدق بعينيه فى بيرن محاولا اختراق القناع البشرى . وجلس ميد بعيدا هو الآخر ، وراح يحملق فى الكأس الذى فى يده بينما التف الآخرون ببيرن .

كان المرح شيئا لابد منه ، ولكن كان التصنع باديا .. نظرات ذكية وأحاديث تافهة ، وصمت مفاجىء لا تلبث أن تتبعه ثرثرة غير مناسبة . وأفرط الجميع فى الشراب وهم يراقبون بيرن من جانب عيونهم . وكان واضحا

أنهم يفكرون : « لقد مر الشباب بمحنة قاسية عصيبة، ولا يجب أن نتحدث عنها ، فى الوقت الحاضر على الأقل .

ومع ذلك ، فقد تكلم هو عنها ... افرغ كأسه مرة واحدة ثم راح يبدى ملاحظات كلها سخرية عن القاضى والمدعى العام والمحلفين .

ونظروا اليه وهم فريسة لتردد مهذب ، كما لو كانوا يرون رجلا اجنبيا لم يروه يشرب هكذا أبدا .
ولكن ألم تعلمه هذه المحنة الجلد والاحتمال . اولا تبرر هذا ... حاولوا ان يبدوا متفاهمين ، ولكنهم لم يجدوا ما يقولون .

وابيض أنف بيرن ، وراح يدير البصر حوله . كان يحاول أن يملك نفسه ، ولكن هل يستطيع أن يوقف سيلا جارفا ؟

ــ ولكن لماذا لا تشربون ؟... اننا لسنا فى جنازة ، اننا نحتفل بعودتى الى الحياة ... هيا اشربوا .

وضحكوا فى شىء من الضيق .

ورفع بيرن كأسه وقال :

ــ اننى أشرب نخب صحة أصدقائى الأوفياء .

وطوح بكأسه من فوق كتفه وابتسم . ورفع أصدقاؤه كئوسهم وهم يبتسمون . وملأ بيرن كأسا آخر وهو يقول :

ــ ستبقى الشكوك قائمة فى أذهان البعض . ولكن اسمحوا لى أن أهدىء أذهانكم على الأقل .
احتجوا جميعا قائلين انه لا داعى لذلك ، ولكنه أصم أذنيه ، وانتقلت نظرته خلفهم ، نحو الناقدة الكبيرة

المؤدية الى الشرفة . وراح يتأمل الليل والأشخاص المهتزة التى تنعكس على الألواح الزجاجية . وقال فى مرح ووضوح تام :

— اننى ارتكبت جريمة قتل وأفلت من العقاب .

وومض فى عينيه وميض وحشى ، كما لو انه أدرك انه تمادى أكثر مما يجب ولم يعد يعرف كيف يتوقف . وفى الصمت العميق الذى تلا ذلك نطق بالكلمات الآتية وكان لها وقع الصاعقة :

— أنا الذى قتلت مادلون .

وتبادلوا النظرات مذهولين . ودوا لو أن لا يصدقوه، ولكنهم صدقوه . واستطرد يقول :

— استطيع الآن ان أتكلم بحرية ودون ان أخشى اى ازعاج .

ونهضوا جميعا كما لو كانوا هيئة من المحلفين ، وابتعدوا عن بيرن ، وألقوا بكئوسهم فى حذر ، وأخذوا معاطفهم وقبعاتهم ، وكانت نظرة واحدة الى وجوههم تكفى لكى تعرف انهم يفرون من المكان .

وكان هوجان أول من بلغ الباب ، وتحول الى بيرن ونظر اليه متبرما وقال :

— كنت أعلم تماما أنه لم يكن يجب ان آتى . ولا ريب اننى كنت أخشى ان أسمع مثل هذا القول .

وخرج دون أن ينتظر حتى لكى يلبس معطفه أو قبعته . وبدا غاضبا من نفسه أكثر من غضبه من بيرن .

وانصرف الآخرون دون أن ينطق أحدهم بكلمة وقد غلبهم الغثيان ... رحلوا جميعا ، فيما عدا ميد .

كان هذا الأخير لا يزال جالسا مكانه يدير كاسه بين أصابعه ، وعلى شفتيه ابتسامة غريبة .

وتحول بيرن اليه وقال يستثيره :

ـــ لماذا لا تخرج مع الآخرين ؟

رفع ميد عينيه اليه . كان يبتسم فى اسى وفى ادراك فى نفس الوقت وقال :

ـــ لأننى أعرف أن هذا ليس صحيحا .

ورفع يده يوقف احتجاج بيرن وقال :

ـــ أوه ، اننى اعرف لماذا قلت ذلك ... لا لكى تصدم شعورنا ، ولا لكى تعاقب المجتمع الذى جرك الى المحاكمة لجريمة لم ترتكبها .

ـــ حقا ؟ . . . لماذا اذن ؟

ـــ لأنك تشعر بأنك مذنب . وهذا انعكاس بشرى ، فان كلا منا قد تمنى فى لحظة ما موت أحد . واذا ما مات هذا الشخص حتى اذا لم يكن لنا أى دخل فى موته فاننا نحس تقريبا بأننا مذنبون .

نظر بيرن اليه ساخرا وقال :

ـــ أوه ، هل تظن ذلك ؟ ... سوف تغير رايك يا عزيزى . اننى قتلت مادلون حقا ... وافلت من القصاص على الرغم من ذلك .

ـــ لا ريب أن المحنة التى تعرضت لها اثرت فى عقلك او ربما . . .

اعتدل بيرن وقال :

ـــ ربما ماذا ؟ . . .

هز ميد رأسه وقال :

ــ كلا ... ان هو الا رد الفعل بدون شــك ، هذا فضلا عن انك شربت ... انك كنت تحت الضغط مدة طويلة ، وانت الآن تخفف عن نفسك .

ابتسم بيرن فى سخرية وقال :

ــ عبثا تحاول أن تقوم بدور النفسانى . ان قتل مادلون لا يثقل على ضميرى أبدا .

حملق ميد داخل كأسه وقال :

ــ تكلم يا عزيزى ... تكلم ... ولكن عنــدما يزول تأثير الخمر فسوف تندم على ذلك .

ألقى بيرن كأسه وصب لنفسه قدرا آخر من الويسكى وقال :

ــ لن أندم أبدا يا صديقى ... اننى قتلتها برصاصة فى القلب حقا ... مسكينة مادلون ... اننى أســأت معاملتهــا .

ــ لو كنت مكانك لكففت عن الشراب . كيف تأمل أن تستعيد احترام الناس اذا أنت أصررت على هــذا القــول .

واستطرد يقول فى لهجة حالمة :

ــ ولكن لعل الوقت قد فات الآن ، فأنت قد رأيت كيف قابل الآخرون الأمر .

ــ الآن وقد برأنى القضاء فلست أعبأ بما قد يكون، واننى أعتبر اننى استمتعت بحياتى ، ومع ذلك فأنت على حق فى نقطة واحدة ، فاننى اشعر بأننى قد تخففت من حمل ثقيل .

ضج ميد بالضحك وقال :

ــ يمكننى ، اذا لزم الأمر ان افترض أنك احسست

بحــاجتك الى أن تقتل مادلون ، واعترف أن زوجتك كانت لا تطاق فى بعض الأحيان ، ولكن كل هذا لايعطيك العذر فى هذا الهذر .

قطب بيرن حاجبيه وقال :

ــ هــذر ... الأننى أتكلم الآن طواعيــة ودون اكراه ، لا تصدقنى وتصدق ما أقسمت على أنه صدق لكى أنجو بحياتى ؟

مرت سحابة أمام وجه ميد ، وتنفس فى صــوت مسموع ثم ابتسم وقال :

ــ ماذا تريد أن تثبت ؟ ... اتريد أن يرميك الناس بالجنون ؟

ازدرد بيرن جرعة كبيرة من الخمر وقال ساخرا :

ــ أنك تحاول أن تبدو متساهلا ، وأراهن أنك ، فى قرارة نفسك ، قد قابلت الأمر كالآخرين تماما . لم تغضبك جريمتى بالذات ، وانما أغضبك أننى افتخر بارتكابها بعد أن قررت هيئة المحلفين أننى غير مذنب . هذه هى الحقيقة ، أليس كذلك ؟

نهض ميد فجأة وبدا العداء فى عينيه وقال :

ــ أنت على حق فى قولك هذا ، فقد أغضبنى أنك تفتخر بارتكابها .

وألقى كأسه فى عنف وقال :

ــ كان من الاوفق أن انصرف مع الآخرين .

وأخذ معطفه وارتداه وقال :

ــ واننى لأتساءل لماذا بقيت . ربما لأننى أردت أن أرى الى أى مدى يمكن أن تبلغ بك الحماقة .

نظر بيرن الى ميد فى ازدراء ثم أولاه ظهره ، ومضى الى النافذة الكبيرة وفتحها على مصراعيها ، وأخذ نفسا طويلا ثم تحول وعلى شفتيه ابتسامة رديئة وقال :

ـ الى حد ان ارتكب جريمة وان أفلت من العقاب .

لمعت عينا ميد وقال :

ـ مهما يكن فمن الخطأ أن اغضب هكذا ، لأنك لست مسئولا وانما ثمل .

تهقه بيرن وقال :

ـ ولكن هذا لا يمنع من اننى ارتكبت جريمة قتل وبرانى القضاء .

انتفخت عروق ميد من الغضب وقال :

ـ يالك من متبجح . ان القضاء براك لأنه لم يجد سلاح الجريمة ، ولن يجده أبدا ، لسبب بسيط وهو اننى ألقيت به فى المحجر ، الذى يقع خارج المدينة .

اقترب بيرن من الشرفة ، وأخذ نفسا طويلا من الهواء ، ونظر ميد اليه مشدوها وقال :

ـ هل تسمعنى يا بيرن ؟ ... انا الذى قتلت مادلون .

وجاء خلف بيرن واستطرد :

ـ وسأقتلك الآن أيها الأحمق المسكين . فانك بعد الاعترافات التى أدليت بها الليلة سيعتقد الجميع أنك لم تجد الجرأة لكى تعيش مع تبكيت ضميرك لجريمتك . اصغ الى الآن أيها الأحمق . أقول لك اننى أنا الذى قتلت مادلون ، فقد مللتها ، وراحت تهددنى باثارة الفضيحة . وعندئذ ...

وتقدم باسطا يديه الى الأمام على اهبة لكى يدفعه .

ولكن ظهر الملازم هارى من الظـــلام ، وتدخل بين الرجلين . وقرقعت الاصفاد فى صوت خافت .

وتحول بيرن فى بطء ، ورأى الأصفاد المعدنية كنجوم تشق الضباب . ووضحت رؤياه ، وتبين الضـــابط هاريس فى الظـــلام ، وبسمته الساخرة الأبدية على شفتيه .

ـــ اننى كنت مخطئا اذن . واننى لا أزال اتساءل ما الذى جعلنى أوافق على خطتـــك ... فقد كنت لا أزال مقتنعا حتى اللحظة بأنك أنت الجانى .

ودفع ميد نحو الباب قائلا :

ـــ طابت ليلتك يا مستر بيرن .

ـــ وليلتك ايها الملازم .

وعرض بيرن وجهه من جديد الى الليل . وسمع الباب وهو يقفل ، واثمله هواء الفجر ... فقد أوشكت الليلة على الانتهاء ولن يلبث الفجر أن يبزغ .

صـيد الحمـام

وصلت بعد فوات الأوان . وقد عرفت ذلك من سيارات بوليس مدينة لوس انجلوس السوداء والبيضاء التى تقف أمام البيت . وبينما كنت أوقف سيارتى ، وقفت سيارة أخـرى هبط منها داف بايك ، الرقيب بالبوليس الجنائى . وكنا قد اشتركنا فى العمل معا منذ بضع سنوات ، وكان ذلك قبل أن نختلف أنا وأولو الأمر ، على طريقة اجراء التحقيقات . وغدوت الآن مخبرا سريا .

ورآنى داف أهبط من السيارة فقال لزميله الجديد أن ينتظره ، ثم اقترب منى لكى يتحدث الى .

ـ صباح الخير يا ستونبريكر . لا تزعم أنك كنت تمر صدفة .

ـ كلا . اننى اتيت من أجل العمل ، فان عميلا لى يهتم بالرجل الذى يقيم فى البيت الذى سمتضى اليه .

ـ أتعنى روبين فاسكيز ؟

ـ هذا هو اسم الرجل .

ـ فى مقدور عميلك أن يتخلى عن اهتمامه به . . . فقد مات فاسكيز .

ومضى داف الى الطرقة المؤدية الى البيت الأبيض الجميل فسألته :

ـ هل هناك مانع من أن ارافقك ؟

ـ هل يمكن أن تفيدنا ؟

ــ وما ادرانى ؟

وتبعت داف حتى المدخل . وكان البيت صغيرا ونظيفا ، كجميع البيوت التى تقع فى حى السرنيو ، والناس الذين يعيشون فيها من المكسيكيين الأصليين ، ويفخرون بانتمائهم الى المكسيك .

وكان هناك بداخل البيت بعض رجال البوليس ، وبعض المصورين والفنيين الذين ينتمون الى ادارة الشخصية ، وبرفقتهم شاب ملحق بمكتب قاضى التحقيق .

وكانت هناك أيضا ، وبطبيعة الحال جثة .

فقد كان هناك رجل متهالك فوق مقعد من البلاستيك والمعدن ، فى وسط غرفة المعيشة . وكان وجهه ، فى الأماكن التى يظهر منها اللحم ، تحت الدم المتجمد أزرق اللون . وكان المقعد وسط بركة حمراء لوثت السجادة الرمادية . وكان مساعد القاضى قد فرش بضع جرائد فوق السجادة لكى يستطيع أن يقترب من الجثة . وكان الدم قد تسرب الى بعض مواضعها .

قرأ داف بايك ، فى دفتر بسطه اليه أحد رجاله : القتيل يدعى روبن فاسكيز ، فى السابعة والثلاثين من العمر ، يقيم فى هذا البيت ولا يزاول أى عمل . وقد اكتشفت الجثة زوجته ليندا فاسكيز واحدى جاراتها ، وتدعى مدام نونا هيريرا . وسبب الموت . . .

ونظر الرقيب الى مساعد قاضى التحقيق ، وكان يدور فى حرص حول الجريدة المبتلة ، فقال :

ــ نزيف ابتدائى ناتج عن عدة طعنات من خنجر . وأكثر الطعنات التى بالوجه والصدر سطحية ، ولكن

يمكنك ان ترى ، فى اعلا الذراع ، القطع الذى احدثه الخنجر فى شريان الساعد .

قال داف :

ــ انه نزف حتى الموت .

ــ هو ذلك . وقد استمر قلبه يدق حتى فرغ الدم من شرايينه فمات .

ــ وكم من الوقت يلزم لحدوث هذا ؟

ــ ساعة . وربما ساعتان ، فالموت فى مثل هــذه الحالة لا يقع سريعا كما يحدث عادة عند قطع شريان الفخذ .

ولم اشأ أن أنظر الى الميت اكثر من ذلك ، ولهذا عبرت الغرفة وانا أحرص على تجنب البركة الحمراء ، والقيت نظرة الى باب يفضى الى غرفة النوم . كانت هناك امرأة سوداء العينين ، جالسة على الفراش ، شاردة النظرات وأمامها احدى نساء البوليس ، تعاونها على احتساء قدح من القهوة . . . وادركت أنها الأرملة ، وكانت قد تجاوزت سن الجمال ببضع سنوات . ولكن وجههـــا كان لا يزال يحتفظ بملامح الهنـدية ورقة الاسبانية . وهما سمتان سيكسبانها جمالا مثيراً الى وقت طويل .

وانضم داف بايك الى وقال :

ــ هل لك أن تذكر لى رايك فى كل هذا ؟

لزمت الصمت دقيقة أو دقيقتين ريثما اتخير المعلومات التى أرى أن أقدمها له . كان يجب ان أرد على أسئلة داف طبعا ، ولكن فى حدود الثقة التى يولينى اياها العملاء الذين يلجأون الى . ولولا اهتمامى بهــذه

النقطة لما أصبت أى نجاح فى عملى ، فان الناس يحرصون عادة على الاحتفاظ بأسرارهم .

قبل ذلك بساعتين جاءنى ذلك الرجل المسن الى مكتبى ، ويقع فى حى الأعمال بلوس انجلوس ، وجلس أمامى فى هدوء ووقار بينما رحنا نناقش مسألة الأتعاب . وأتعابى ليست مرتفعة ، ولكننى لا أعمل مقابل لا شيء . وكان الرجل المسن يدعى انطونيو فاسكيز ، وقد اخبرنى بسبب قدومه قائلا :

ـــ اننى اتيتك بسبب ابنى . انه وقع فى متاعب مع المافيا المكسيكية .

سألته : أى نوع من المتاعب .

اعتدل الرجل العجوز فى جلسته ، والقى نظرة من خلال النافذة وقال فى مشقة :

ـــ ان ابنى مرشد ، وقد أرشد البوليس الى بعض المجرمين فى سوليداد نظير اطلاق سراحه . وهو طليق الآن ، ولكن هؤلاء الأوغاد يعرفون ما فعل . وقد اصدروا أوامرهم بمجازاته .

وكنت قد عرفت كيف تجازى المافيا المكسيكية الخائنين . وهم يسمون طريقتهم هذه بصيد الحمام ، والضحايا الذين يموتون محظوظون حقا .

وسألته على العموم : هل تريد أن أخطر البوليس؟

تألقت عيناه بالازدراء وقال :

ـــ ولماذا ؟ ما هو الا مكسيكى بالنسبة لهم ، ولا يضرهم اذا نقص المكسيكيون واحدا أو اذا زادوا واحدا ، ولكنه بالنسبة لى ابنى الوحيد .

ـــ وما هى نواياك ؟

ــ أن تخطره بالخطر الذى يتهدده . اننى رجل مسن وضعيف ، وسوف يسخر من مخاوفى . ولكنه يعرف اسم ستونبريكر ، وسوف يصغى اليك .

لم أكن واثقا من ذلك ، ولكننى لم أناقشه .
ونهض الرجل العجوز وصقل بنطلونه ، ولم يكن متجانسا مع جاكتته . ثم غادر المكتب .

وعندما ذهبت بسيارتى الى بيت روبن فاسكين لم يكن فى ذهنى غير برنامج مبهم ، هو أن أحمله على مغادرة المدينة بعض الوقت . ولكن ، حين رأيت سيارات البوليس أدركت أنه لم يعد هناك أية أهمية لهذا ، فقد وصلت بعد فوات الأوان .

ووقفت الآن بجوار داف بايك ، أمام جثة روبن التى استحال لونها الى اللون الأزرق ، وخطر لى اننى مازلت أستطيع اكتساب اتعابى بالقبض على قاتليه .

وقال داف فى اصرار :

ــ حدثنا يا ستو نبريكر ... ما الذى تعرفه ؟

رويت له قصة المافيا المكسيكية ، ولم أخف عنه الا اسم عميلى ، فان البوليس سوف يتصل به بعد قليل . ودون داف بعض الملاحظات وهو يصغى الى . وسألته :

ــ هل تعرف سوابق روبن ؟

ــ أنه كان وغدا ... اعتداءات ، ومخدرات ،

وسوء معاملة للاطفال وما الى ذلك ... واذا أردت الحق فان المافيا المكسيكية قدمت خدمة جليلة للمدينة .

عادت كلمات أنطونيو فاسكيز الى ذهنى ، فسألته :

ـ هل تنوى أن تستمر فى التحقيق ؟

توترت عضلات وجهه لحظة ثم قال فى لهجة جافة :

ـ سنفعل تماما كما نفعل ازاء كل جريمة قتل .

كان داف بايك شرطيا شهما ، وكان يتكلم بكل جد ، وليس الذنب ذنبه اذا كانت ادارة البوليس لا تولى بعض القضايا ما يكفى من الوقت كفيرها .

سألته :

ـ هل ستتحدث الى الأرملة الآن ؟

ـ نعم . ولن أستبقيك أكثر من هذا اذا كان لديك ما يشغلك .

قلت :

ـ لا تغضب . قليل من العون من نحوى قد يفيد ، ولن أكلفك شيئا .

زمجر قائلا :

ـ حسنا . ابق هنا اذن ، ولكن حاول أن لا تظهر كثيرا ، فانك بجسمك هذا ووجهك الغريب قد تخيف الشهود .

وكان على حق فى هذه النقطة . ولهذا مضيت واعتمدت بظهرى على الجدار ، فى حين طلب داف من ليندا أن تروى له ما حدث .

قالت :

ــ هما اثنان . جاءا فيما بين الساعة الخامسة والسادسة ، بينما كنت أقوم باعداد طعام العشاء . وكان أحدهما يحمل سكينا ، والآخر مسدسا . وأراد روبن أن يتفاوض ، ولكن صاحب المسدس ضربه به فلم يقل شيئا بعد ذلك . وقيد الرجلان روبن الى مقعد ثم أوثقا يدى وقدمى ، ووضعا شريطا لاصقا فوق فمى ، وحبسانى فى غرفة الحمام .

كانت عينا المرأة جافتين ، ولم يكن فى صوتها أى انفعال وهى تروى قصتها . واسترسلت تقول :

ــ وسمعت روبن يصرخ ، ولكن فى صوت خافت كما لو كانا قد وضعا فوق فمه شريطا لاصقا هو الآخر . وبعد لحظة فتح الباب الأمامى ، ثم أغلق من جديد ، ولم أعد أسمع شيئا فتحاملت على ركبتى ، واستطعت أن انتقل من مكانى وانا موثقة القدمين واليدين ، وبحثت فى كل مكان من غرفة الحمام عن شىء حاد . ووجدت مقصا استخدمته فى قطع قيودى أخيرا . ورفعت الشريط اللاصق عن فمى وناديت روبن ، ولكنه لم يرد . وكان باب غرفة الحمـــام موصدا من الخـــارج فوثبت من نافذتها ، وكانت جارتى ، مدام هيريرا ، واقفة خارج بيتها . فرأتنى . وصحبتنى الى الباب الأمامى ، ودخلنا ، ووجدنا ... ما تراه الآن . وأسرعت الى روبن لعلنى

أستطيع مساعدته . كان يبدو فى أسوأ حال ، ومع ذلك فقد أسرعت الى الحمام لكى أبحث عن بعض الضمادات ، ولكنه كان قد فارق الحياة أثناء ذلك .

وطلب داف منها ان تصف له الرجلين ، فراحت تصفهما كما يفعل جميع الناس فى مثل هذه الظروف . كانا مكسيين ، معتدلى القامة ، كل منهما بدين الجسم ، لا يميزه شىء خاص ، وليس فى ثيابهما أى شىء عادى . وخرجت من غرفة النوم ، فى حين راح داف يحاول أن يعرف منها المزيد .

كانت بعض أثار الأقدام ممتدة من روبن فاسكيز حتى غرفة الحمام ، حيث جرت ليندا لكى تبحث عن الضمادات التى لم يعد لها أى نفع . وخرجت من الباب ودرت بالبيت حتى بلغت الفناء الداخلى ، ورأيت على العشب القصير ، تحت نافذة الحمام أثرا لقدمين ملوثين بالأحمر ، هى قدما ليندا الصغيرتين .

وفى الناحية الأخرى من البيت ، كان زميل داف يستجوب امرأة ضخمة متينة الجسم ، ذات حاجبين كثيفين . واقتربت بما فيه الكفاية لكى أعرف أنها تدعى مدام هيريرا ، وأنها جارة ليندا . واتفقت قصتها عن اكتشاف الجثة مع قصة ليندا فاسكيز . وعندما رأت اننى أصغى ، قطبت جبينها ، فرددت عليها بابتسامتى الرقيقة التى تخيف الكلاب والأطفال . وازداد عبوسها ، فابتعدت على الفور لكى يتمكن الشرطى من الاستمرار فى استجوابه .

ورحت اتمشى الى أن فرغ داف بايك من حديثه مع

الأرملة . ثم خرجت معه الى الشارع فى حين أخذوا ينقلون الجثة .

وسألته :

ـ هل وجدت شيئا ؟

ـ طبعا . ان الوصف ينطبق على نصف الأهالى ، وسأقبض عليهم فورا .

قلت :

ـ آه . ارجو لك التوفيق اذن .

ـ وانت ؟ . . . ماذا ستفعل ؟

ـ سأبقى فى المكان قليلا ، وسأتحدث مع السيدة .

ـ ستونبريكر . . . ألا تخفى عنى شيئا ؟

ـ أقسم لك بشرفى أنك تعرف بقدر ما أعرف أنا .

حدق داف فى لحظة ثم هز رأسه ، وصعد الى سيارته ، وانطلق بها .

وما أن اختفى رجال البوليس ، حتى خرجت مدام هيريرا من الباب المجاور ، فى خطوات ثقيلة ، ووقفت بداخل غرفة المعيشة ، كما لو كانت تريد أن تضفى حمايتها على الأرملة . واضطررت أن اتحدث الى هذه الأخيرة من فوق كتفيها .

ـ مدام فاسكيز . . . هل رأى أحد آخر هذين الرجلين ؟

ــ كلا . لم يرهما أحد غيرى ، فاننى أقيم وحدى منذ أن اضطررت الى ارسال ابنى لكى يقيم مع اختى . ولكنه سيستطيع أن يعود الى البيت الآن .

ــ الم يرهما أحد من الجيران ؟

ــ لقد استجوب البوليس جميع الأهالى بالشارع . لم يرهما أحد .

وتكلمت مدام هيريرا عندئذ ، وكانت قد اصبحت تأنس الى قليلا ، منذ أن عرفت اننى لست من رجال البوليس . قالت :

ــ لعل أولئك الصبية راوا شيئا .

ــ اية صبية ؟

ــ هؤلاء المراهقون الذين يتسكعون هنا . كانوا فى الناحية الأخرى من الشارع ، ومعهم أدوات الطلاء . لعلهم راوا شيئا .

ودعت المراتين واجتزت الشارع . كانت الشمس قد بدأت تغيب ، وأوشك النهار أن يختفى . وعلى جدار الجاراج المقابل كانت هناك بعض النقوش المخطوطة بالطلاء الأحمر التى يتميز بها جيل اليوم من المراهقين . وكان هناك نقش قديم عبارة عن هذه الحروف ف.ن .ا. ١٣ . و ف تشير الى كلمة فاريو ومعناها « حى » ، وحرفا ن .ا. يشيران الى نويفا استرادا ، أما الرقم ١٣ فيشير الى الحرف الثالث عشر من الحروف الابجدية وهو حرم الميم . ومعنى العبارة كلها هو « حى نويفا استرادا » . أما الميم فاشارة الى أن فتية الحى يدخنون الماريجوانا .

وركبت سيارتى ومضيت بها الى مشرب برونتو ، بشارع سان بنيتو حيث كنت أعرف أن فتيـة الحى يجتمعون هناك . واعترض اثنان من المراهقين طريقى فى عداء ظاهر ، وسألنى أحدهما :

ـــ ماذا تريد ايها الجاسوس ؟

ـــ اريد ان اتحدث الى روجو .

ـــ هل انت شرطى ؟

ـــ كلا . ان اسمى ستونبريكر .

وبينما كان المراهقان يتشاوران ، خرج فتى من المشرب ، بوجهه نمش وله شعر أشقر ، ماكاد يرانى حتى اسرع الى مبتسما وقال :

ـــ ستونبريكر ؟... ما الخبر يا صديقى ؟

وعندما راى المراهقان اننى لست خطرا عليهم حولا اهتمامهما الى شىء آخر ، وعاد روجو يسألنى قائلا :

ـــ اية خدمة استطيع ان اؤديها لك أيها الصديق .

وكنت قد تمكنت من انقاذ أخته من موقف حرج قبل ذلك بعدة شهور ، ولم يكن من الذين ينسون الجميل . وسألته قائلا :

ـــ الم يكن بعض اصدقائك يقومون بكتابة بعض الرموز على أحد جدران شـارع مالابار ، فيما بين الخامسة والسادسة من مساء اليوم ؟

ـــ ربما . ولكن لماذا تسأل ؟

ــ هدىء من روعك يابريد . اننى لا أقــوم بعملية تطهير ، ولكن ربما رأى أصدقاؤك شقيين اثناء دخولهما بيتا على الرصيف المقابل . اذا كان هذا قد حدث فاننى أريد أن أعرف من هما .

ــ سأذهب للاستطلاع .

وابتعد بضعة امتار ، وتبادل الحديث مع بعض اصدقائه ، وكانوا يتكلمون باللغة الاسبانية العامية التى يتكلمها الأوباش . وعاد بعد قليل وقال :

ــ انهم راوا الرجلين فعلا . ولكن لماذا تبحث عنهما ياستونبريكر ؟

ــ انهما أوثقا رجلا الى احد المقاعد ومزقاه بالسكين بعد ظهر اليوم .

ــ أهو صديق لك ؟

ــ كلا . وانما عميل .

ــ من الأوفق ان تتناسى أمرهما اذن ، فانهما شديدا الخطر .

ــ ولكننى أهتم بالأشخاص الشديدى الخطر . من هما ياروجو ؟

ــ حسنا . هذا شأنك انت على كل حال . انهما الأخوان جارزا ... جو واجنا شيو جارزا ... المافيا الاسبانية ... لن تسرهما زيارتك .

ــ واين أجدهما ؟

ــ فى بار رويدوزو . . . هل تعرفه ؟

ــ نعم . الى الملتقى ياروجو .

ــ بل وداعا .

وكان يبدو مهموما .

ولو اننى كنت مواطنا طيبا لنقلت المعلومة الى رجال البوليس ، ولبقيت منزويا لا يعلم احد عنى شيئا ، ولكننى كنت أعرف ماسوف يقع عندئذ ، فان رجال البوليس سيستجوبون روجو ، فينكر كل شىء ، ويبقى الأخوان جارزا فى أمان ، وافقد انا صديقا . ولهذا لم اتكلم مع داف بايك فى التليفون .

ويقع بار رويدوزو فى مانجو ، على مقربة من شارع سوتو ، وبه صالة للعب البلياردو . وتركت سيارتى فى الموقف أمام البار ، ودخلت ، وكان للمكان رائحة المراحيض .

وقلت لصاحب البار :

ــ اننى أبحث عن الاخوين جارزا .

أسرع الرجل يقول :

ــ اننى لم أرهما .

ولكن عينيه كذبتاه ، لانه ألقى نظرة سريعة الى البلياردو ، فى آخر البار ، حيث توقف اللعب عند دخولى . واتيت بحركة الى الخلف ، فعاد الرجلان الى اللعب على الفور . كان أحدهما نحيفا كقطعة من

الخيط ، ويلبس جاكتة زرقاء ونظارة طيار ، أما الآخر فكان قصيرا وبدينا كالبرميل .

وانحنيت ، وأمسكت بكرة البلياردو فى نفس اللحظة التى سدد فيها ذو الجاكيت الزرقاء مضربه وقلت :

ـ اننى أبحث عن الأخوين جارزا ، فهل ترانى أتحدث اليهما ؟

وأنا لست بطيئا فى العادة ، فان البطء فى مهنتى هذه يمكن أن يكلفنى حياتى ، ومع ذلك فقد أبطأت هذه المرة ، أكثر من المعتاد ، عندما صاح النحيف :

ـ اضربه يا جو .

وما كدت استدير حتى تلقيت ضربة شـــديدة على أم راسى ، أفقدتنى الرشد .

***

عندما عدت الى نفسى كانت هناك قدم فوق وجهى ، والألم الشديد يسرى فى صدغى وتتتابع دقاته سريعة مع دقات قلبى . وعندما استطعت أن أتغلب على الى ، رأيت اننى ملقى فى أرضية مؤخرة سيارة وان السيارة سيارتى أنا بالذات وقد عرفت ذلك من صوتها المميز .

وفتحت عينى ، ونظرت الى أعلا ، ورأيت أن القدم الذى فوق وجهى لجو البدين . وكان معنى هذا ان اجناشيو هو الذى كان يقود . وعرفت من الفراغ الذى تحت ذراعى أنهما أخذا مسدسى . ولاريب أن جو كان يصوبه الآن نحوى .

واهتزت العـــربة عندما صعد اجناشـــيو بها فوق افريز ، ودلتنى طبيعة الأرض على أننا تركنا الطريق الممهدة .

وتوقفت العربة وهى تهتز بشدة ، وداست قدم جو على رأسى التى تؤلمنى ، وضـــغطت على فكى حتى لا أصرخ .

وجاء صوت اجناشيو من المقعد الأمامى للســـيارة قائلا :

ـــ هذا هو أنسب مكان .

وخرج الاثنان من السيارة معا ، وأخذا يجرانى من قدمى ليخرجانى منها . وكان من الواضح أن الخوف استولى عليهما وانهما ينويان قتلى ويريدان استخدام سيارتى بعد ذلك للفرار ، والا لقتلانى فى البار .

ومن غير ان أبدى ما ينم على اننى عدت الى الرشد تثاقلت ، وعندما أخرجا نصف جسدى خارج الباب دبرت أمرى بحيث شبكت كم سترتى فى آلرافعة التى تستخدم لنقل المقعد . وقام جو جارزا بمحاولتين ، عبثا . ثم أطلق سبة بالاسبانية ، وانحنى داخل العربة لكى يحرر كمى . وعندما أمسك بالكم رفعت يدى الطليقة وامسكته من يده ودفعتها فوق كتفى بـــكل ماأوتيت من قوة ، وابتســـمت فى قرارة نفسى عندمـــا سمعت عظمة كوعه تطقطق ويلتوى ذراعه الى الخلف.

وصرخ جو جارزا لفرط الألم ، ووقع شىء ثقيل من يده الأخرى على ساقى ، واندفعت خارج العربة ، ورحت وانا على أربع ، اتحسس ارضيتها فى الظلام ،

ولم ألبث ان وضعت يدى على مسدسى . وانقلبت على ظهرى ، ورأيت جو جارزا وقد أمسك سكينا فى يده السلمية ، واندفع نحوى ، ومن خلفه اجناشيو وهــو يصرخ فيه أن يخلى له الطريق ..

ولم اجد وقتا للاختيار فصوبت الجز الأكبر من جو جارزا الذى يهجم على واطلقت النار . وزمجر جو عندما أصابته الرصاصة فى صدره ، وتجاوزنى ببضع خطوات ثقيلة قبل أن ينهار فوق العشب .

ودوى شىء خلفى ، فى غضب ، فتحولت لكى ارى اجناشيو جارزا يطلق الرصاص على . كان يمســك فى يده مسدسا صغيرا ، الا أنه كان يمــكن أن يصيب مقتلا ، وكان هذا آخر خاطر مر برأسى قبل أن يصيبنى اجناشيو وأقع وفى فمى طعم الدم .

واذا نحن صدقنا الجمهور تكون رأسى من الجرانيت، وهذا غير صحيح لأنها اصيبت فى نفس الليلة بضربة ثقيلة أحدثت فيها ورما كبيرا ، ثم أصابتها رصاصة عيار » . وكانت الأضرار الخارجية ظاهرة ، أما من الداخل ، فقد كان عقلى لا يزال سليما نشيطا .

وبعد لحظة استنتجت اننى لم أمت ، لأن الموتى لا يحسون بالألم . وفى بطء شديد رفعت رأسى عن العشب الرطب ، ورددت البصر حولى ، فلم أر أحداً .. لم يكن هناك غير ســيارتى ، وكانت واقفة ، وأحد أبوابها مفتوح .

وحركت جسدى شــيئا فشيئا حتى وقفت أخيرا . وغامت الدنيا بى ، ودارت ذات اليمين وذات الشمال ،

ثم استقرت أخيرا . وعرفت اين أنا . كنت فى متنزه هازارد ، بجوار شارع سوتو . ومشيت الى سيارتى فى بطء ، وركبتها . ورأيت أننى لم اكن وحدى .

كان جوجارزا موجودا فوق المقعد الذى بجوار مقعد السائق . وكان فى صدره ثقب وعلى وجهه تعبير خال من الحياة . وفتحت الباب من ناحيته ، ودفعت به الى الخارج .

وعندما أدرت مفتاح الحركة لم يقع شىء . وكان هذا يحدث ثلاث مرات من أربع تقريبا . فدسست يدى تحت لوحة القيادة وهززت الاسلاك لكى أعيد التيار . ولم يكن اجناشيو يعرف ذلك . وعندما لم يستطع قيادة السيارة ، بعد أن أطلق على النار تملكه الفزع ، وهرب تاركا أخاه ، وما كان هذا الأخير ليحقد عليه لهذا السبب .

وخرجت من المتنزه ، ومضيت الى شارع سوتو ، فى طريقى الى الجنوب . كانت هناك رسالة تحاول أن تقول ان هناك شيئا عاجلا لابد منه ، ولكن رأسى لم تستطع أن تسجل أى شىء . وراحت انوار الفوانيس تخبو ثم تزيد أمام عينى قبل أن تنطفىء تماما فى نفس الوقت الذى انعطفت فيه الى شارع مألوف . وتجاوزت بيتين ثم وقفت .

ولاريب اننى ترنحت وانا فى طريقى الى البيت ، ولكننى لا أذكر شيئا . وكل ما اذكره بعد ذلك هو سقف غرفة النوم ببيت فاسكيز ، الذى رحت انظر اليه، ووجه ليندا فاسكيز المذعور وهو منحن فوقى ، فى حين راح شىء بارد يثقل على وجهى الجريح .

قالت : هل تسمعنى يا ستونبريكر ؟ ... هل استيقظت ؟

زمجرت : نعم . اطلبى البوليس .

ــ سوف أفعل حالا . ولكن هل انت أحسن ؟

ــ لا أدرى . اطلبى البوليس .

ابتعدت عنى ، تاركة المنشفة المبتلة فوق عينى وجبينى . ودق حذاؤها العالى على الأرض العارية لغرفة المعيشة . ولا ريب أن بعضهم رفع السجادة الملوثة بالدم . وسمعتها ترفع السماعة وتدير القرص . وعندما بدأت أعود الى أرض الأحلام انفتح الباب الأمامى للبيت فى عنف ، وراحت أقدام أخرى تدق على أرضية الغرفة .

وكان الصوت النائح اكثر حدة ، واشد انفعالا عما سمعته آخر مرة ، فى المتنزه :

ــ اننى انذرتك بما سوف يقع لك ان انت تكلمت مع البوليس ... سأجعلك تندمين الآن قبل أن اقتلك .
قالت ليندا فاسكيز متوسلة :

ــ كلا . لا تفعل هذا . اننى لم أقل شيئا . اننى قلت لهم اننى لا أتذكر أوصافكما .

ــ اصمتى . قلت ذلك لستونبريكر ، وقد مات اخى الآن . كان يجب ان ادع جو يقتلك انت أيضا بعد أن تخلصنا من زوجك . ولكننى كنت كريما جدا وقلت

لجو يكفى أن تقيدها وان تمضى بها الى غرفة الحمام . انها لن تتكلم .

راحت المرأة تطلق صرخات قصيرة نائحة .

وعندما رفعت المنشفة من فوق جبينى ، أحرق الضوء عينى ، وأخرجت ساقى من الفراش ، وبقيت جالسا لحظة ، وأنا أعد من واحد الى خمسة . وأنا أجمع قواى لكى أقف .

ومن غرفة المعيشة سمعت صوت لكمة عنيفة فوق اللحم والعظام ، ووقع جسد فوق الأرض . وراحت ليندا فاسكيز تتوسل فى صوت مذعور : اوه ، كلا . ارجوك . لا تفعل هذا . أرجوك . . . كلا . اننى لم أقل شيئا لأى احد . . . اقسم لك على هذا .

وأخذت مسدسى فى يدى ونهضت . كان باب غرفة النوم مواربا نحو خمسة عشر سنتيمترا . وتقدمت وأنا اترنح ، ودفعت الباب بقبضة يدى ، ورأيت اجناشيو يصوب مسدسه نحو المرأة التى تكومت فوق الأرض العارية .

وعندما رأى اجناشيو وجهى البشع الجريح فغمر فمه مشدوها . ولكن الحقد لم يلبث أن حل محل الدهشة وأدار مسدسه نحوى . وقبل أن يضغط على الزناد كنت قد أطلقت النار فى فمه .

واتممت المكالمة التليفونية التى كانت ليندا قد بدأتها مع البوليس ، وانتظرنا قدومه فى المطبخ .

قلت : اريد ان أسألك شيئا قبل ان ياتى البوليس .

ـ قل .

كانت هادئة الآن ، وعلى وجهها علامة حمراء ، فى الموضع الذى لكمها اجنا شيو فيه .

ـ هل كان زوجك قد مات عندما دخلت ونظرت اليه فى المرة الأولى ؟

ـ انك سمعت قصتى للبوليس ، وقصة مدام هيريرا .

ـ بل اعنى عندما دخلت وحدك يا ليندا .

فتحت فمها لكى تنكر ، ولكنها لم تلبث أن غيرت رأيها وتكومت فى مقعدها ، وقالت :

ـ لا أدرى . كان لا يزال ينزف قليلا . ولعله كان على قيد الحياة . وربما كان فى مقدورى ان أسعفه .

ـ ولكنك لم تحاولى ذلك .

ـ كلا .

ـ لماذا ؟

ـ هل ترى هذه الصورة التى فوق التليفزيون يا ستونبريكر ؟

نظرت عبر الباب الى الصورة الموضوعة فوق التليفزيون بغرفة المعيشة ، وكانت لصبى فى الرابعة من عمره ، اسمر العينين .

قالت : هذا هو ابنى مانى . وقد مات أبوه بعد التقاط هذه الصورة بشهر . وبعد سنة تزوجت روبن فاسكيز . ومانى ، فى هذه الصورة ، يبدو بأصابع يده كلها . أما الآن فان يده اليمنى ليس بها غير ثلاثة أصابع ، لأن روبن غضبت ذات يوم ، كان مانى يبكى فيه ، وامسك بيده فوق نار الموقد . وكنت ارجو أن يكون روبن قد تغير بعد خروجه من السجن . فقد سألته عندئذ اذا كنت أستطيع أن آتى بابنى لكى يقيم معنا ، فقال اننى اذا فعلت ذلك فسوف يحرق يده الأخرى .

سألتها : وماذا حدث بعد ظهر اليوم اذن ؟

ــ كما قلت لك . قطعت قيودى ، وخرجت من نافذة غرفة الحمام ، ولم يرنى أحد . ومضيت الى الباب فوجدت روبن متهالكا ينزف دمه . واذا كان لم يمت ، فقد كان وشيكا أن يموت . وعدت الى غرفة الحمام ، ورحت أنظر من النافذة الى أن خرجت مدام هيريرا فناديتها ، وتسلقت من النافذة وخرجت كما رويت لرجال البوليس . ومضينا معا الى الباب العمومى . وفى هذه المرة لم يكن هناك أى شىء ، فقد مات روبن . وأسرعت الى غرفة الحمام ، وتظاهرت بأننى ادير المفتاح فى القفل . ثم دخلت لكى آتى بالضمادات .

وبقيت لحظة واحدة وهى تطرق بعينيها الى الحصيرة ثم نظرت الى قائلة :

ــ كيف عرفت ذلك يا ستونيبريكر ؟ . . . كيف عرفت اننى ، عندما دخلت مع مدام هيريرا ، لم تكن المرة الأولى .

ــ انك تنسقين بيتك جيدا يا ليندا . وكان فى مقدورك ان تجدى المقص بأسرع مما ذكرت للبوليس . من ناحية أخرى ، كانت هناك آثار لقدميك تحت نافذة غرفة الحمام .

ــ ولكننى حرصت على أن أضع قدمى فى نفس المكان فى المرة الثانية .

ــ ولكنك نسيت ان تنظفى حذاءك . كان العشب ملوثا بالدم حيث وضعت قدمياك . ومعنى هذا انك كنت فى غرفة المعيشة .

ــ ماذا ستقولى للبوليس ؟

ــ الحقيقة . وهى ان جو واجناشيو جارزا هما اللذان قتلا زوجك . وماذا ستقولين أنت لهم ؟

نظرت الى لحظة طويلة ، بعينيها السوداوين المستغلقتين . وطرق رجال البوليس الباب العمومى فى هذه اللحظة ، فمضت لكى تفتح لهم .

***

الضمير الحى

٤

طوحت بها الصدمة الى الأمام ، وألقت بها فوق عجلة القيادة ، فلم تستطع فى بادىء الأمر أن ترى بوضوح ما يدور فى الخارج ، فى جوف الليل ، أمام واقية الريح ، وأمام مصباحى السيارة . لم تستطع أن تتبين أكثر من شىء واحد .. كتلة .. جسدا .. وقد بدا لها أن رفرف السيارة تلقى هذا الجسد وطوح به ودحرجه بعيدا .. هناك ، الى الأمام .. وأروع ما هناك أن السيارة لم تقف .. وبدا كأن عقل المرأة توقف عن التفكير ، ولم يستطع أن يرسل الى قدمها اليمنى الاشارة الكفيلة بأن ترفعها عن دواسة البنزين وأن تدوس بها على الفرملة ، لأن السيارة ظلت منطلقة الى الأمام ، ولم تلبث أن تلقت ذلك الجسد الذى سبق أن طوحت به ومرت فوقه هذه المرة .. وارتجت العربة رجة عنيفة ثم اندفعت الى الأمام كما لو كانت جسدا له روح ، وراحت تتابع طريقها .. أما الجسد الذى مرت فوقه .. والذى كان ينبض حياة منذ لحظة ، فلم يكن يعنى شيئا لها ، فهى لم تكن أكثر من آلة من المعدن والمطاط والزجاج . وكان على المرأة اذن أن تتمالك نفسها ، فان هذه الكتلة .. هذا الشىء الذى تكوم هناك ، خلفها .. كان كيانه من نفس كيانها هى .. كان من لحم ودم وآلام مثلها.

ووجدت قدمها الفرملة أخيرا ، فداست عليها .

واهتزت العربة تحت الضغط المفاجىء . وحاولت أن تفلت منها واندفعت شمالا ، نحو الافريز ، ثم يمينا نحو الأشجار . وبذلت المرأة جهدها لكى تسيطر عليها ، وزادت من ضغطها على الفرملة وقد تقبضت يداها على عجلة القيادة ، لكى تدفع بها الى الأمام . كما لو كنت تمسك عنان جواد . عجلة وانتفضت مؤخرة العربة ، وأحدثت عجلاتها صريرا قويا فوق الأسفلت ، ثم توقفت أخيرا ، وبقيت هى جالسة مكانها ، متوترة ، وقد فقدت كل احساس ، لاتستطيع أن ترفع يديها عن عجلة القيادة .

ومر وقت طويل قبل أن تتمكن من الاسترخاء ومن استعادة هدوئها . كان ذهنها فارغا تماما ، وقد تجمد منها كل احساس . وانقضى الوقت ولم يعد اليها الوعى الا ببطء . وبحثت يدها اليسرى عن مقبض الباب ، وادارته ، ودفعت الباب الى الخارج وأخرجت قدمها اليسرى ، ووجدت الافريز . وتبعها جسدها . وخرج من السيارة الساكنة . وبقيت واقفة بالطريق ، فى بادىء الأمر ، بكل بساطة ، بدون غرض ولا غاية .

كان الصمت مخيما فى كل مكان . وانقطعت كل أصوات الليل .. الحشرات والطيور والحيوانات ، وحتى الريح .. قطعت ضجة الصدمة العنيفة أصواتها كلها .. وكان الأسفلت الأسمر يكاد لا يبين . وبقيت واقفة ، وحدها ، معلقة فى الزمن ، فى الفراغ ، وفى الظلمات وحدها .. فيما عد ..

بماذا اصطدمت ؟ .. او بمن ؟ ..

جمدها السر الرهيب عن الحركة لحظة طويلة . مهما يكن وأيا كان ، فان الشىء الذى اصطدمت به

موجود خلفها .. هناك ، على بعد ثلاثين مترا أو ابعد بقليل .. هناك ، حيث يمتد الطريق فى عمق الظلمات.

وفكرت تقول : اننى اعرف هذا الطريق .. اعرفه كما أعرف يدى اليمنى .. أن المنحنى هناك شديد الخطر ، والمصابيح الأمامية للسيارة لا تكشف الا الأشجار والأرض المنخفضة هناك .. اعرف ذلك .. اننى سلكت هذا الطريق الف مرة .. وانا ابطىء فى العادة ، لأننى أعرف طبيعته ، فان شيئا قد يظهر فجأة أمام المصابيح . وقد لا أجد الوقت لكى اتوقف .

صدمت شيئا ؟ .. كلا .. بل صدمت شخصا .. أن الشخص الميت ما هو الا شىء على كل حال .

ووجدت نفسها تمشى ، وحذاؤها ذو الكعب العالى يدق الارض ، ولم تلبث ان ابتعدت عن نور المصابيح الخلفيين ، وابتلعها الظلام الدافىء . لم تكن الليلة مقمرة ، ولم يكن بالسماء غير نجوم متعددة تعطى ما يكفى من الضوء لكى تبين السماء من الأرض ، حتى وصلت بجوار الشىء ... ربما ثلاثون مترا ...

وتوقفت على الفور ، وقد تملكها الفزع بطريقة جديدة مختلفة ، فقد رات على جانب من الطريق ، كتلة صامتة يختفى نصفها بين الأعشاب .. كتلة سوداء بسواد الليل تقريبا ، بل تكاد تكون أكثر سوادا بقليل .

الفت نفسها عاجزة عن الحركة ، وعن الاقتراب خطوة اخرى ، على الرغم من أنها ودت لو أن تفعل .. لا حركة .. ولا حياة .. فما الجدوى .. وما الذى تستطيع أن تفعله ؟

ــ هل انت على قيد الحياة ؟

وحطمت رنة صوتها ، والكلمات نفسها ، الصمت المطبق حولها فجأة ، وجعلتها ترتعش ، وضخمت من فزعها . ولم يأتها أى رد لأنه لم تكن هناك حياة فى تلك الكتلة الملقاة على الارض .

وعادت ركضا الى عربتها .. جزيرة مألوفة من النور والامان ، ووثبت بداخلها وأغلقت الباب ، كما لو كان هناك من يطاردها . وكان المحرك لا يزال دائرا فى صوت خافت ، فأدارت مفتاح الحركة ، وانطلقت ، شاكرة .

وبعد نصف كيلو متر ، أو اقل بقليل ، كان هناك منحن ، بعده هضبة يقع بيتها خلفها على الفور . ودارت العربة فى الطرقة ، وارتفع باب الجاراج ، وحده ، بتأثير جهاز الارســـال الموجود بالسيارة . وانسلت العربة بالداخل . وأوقفت المحرك ، ولكنها لم تدخل البيت ، بل ظلت جالسة مكانها تحملق بعينيها فى الجدار الأبيض البراق الذى أمامها ، والذى انعكس نـــور مصباحى السيارة عليه .

وانبعث صـــوت فى ذهنها يقول .. صـــوتها هى بالذات :

ــ يجب أن أعرف .. يجب ان أعود .. او ان أطلب شخصـــا .. أو طبيبا .. أو عربة اســـعاف . أو البوليس ..

ومع ذلك فان الرعب رفض أن يتخلى عنها ، وظل

متشبثا بها كما لو كان يدا باردة . ولم يسمح لها أن تخرج لكى تفحص مقدمة السيارة ولو أن تدخل البيت لكى تتكلم فى التليفون ، ولا أن تطفىء مصباحى السيارة .. ولا حتى أن تصرخ .

وهكذا بقى اليقين المخيف داخل ذهنها ، كصدى يتردد فى الفضاء .
« جريمة الهرب .. اننى ارتكبت جريمة الهرب » .

* * *

وتحركت فى الفجر أخيرا . وآلمها جسمها وهي تبرح السيارة ، فقد كادت أن تتجمد من عدم الحركة ، ثم سارت خارج الجاراج ، نحو تباشير فجر الصيف . وأحست فى غموض ، بأشعة الشمس الأولى تتألق فوق الندى ، وبرائحة الأرض والخضر ، بأغنية العصافير فوق كل الأشجار . كان عالم النهار الجديد يختلف كل الاختلاف عن عالم الليلة السابقة ، بحيث أنها تساءلت فى شىء من الأمل ، اذا لم تكن قد رأت ما مر بها فى الحلم .

ومشت فوق الحصى ، بالطرقة ، فى محاولة لازالة توترها . ورأت أنها لا تزال ترتدى ثياب الأمس .. ثوبا أخضر قصيرا وحذاء رفيعا ، أخضر هو الآخر ، لايليقان بالصباح أبدا .

كان كل شىء هادئا . أما كان يجب أن تسمع صوت السرينة ؟ .. ليس بالضرورة طبعا ، فان قليلا من السيارات تسلك ذلك الطريق ، وربما لم يكتشف أحد شيئا لهذا السبب . وبناء على ذلك فانه يمكنها أن تعود هناك و .. ماذا ؟

ولكنها بعد امعان التفكير ، رأت كأنها تلقى بنفسها ضد جدار . ما الذى تستطيع أن تفعله اذا هى عادت هناك الآن ؟ هل تنظر الى الجثة مليا ؟ .. وهل تدعو البوليس ؟ .. وهل تعترف بذنبها ، ثم تحاول ان تفسر لهم لماذا لم تستدعهم بالامس ؟ .. لعله كان فى مقدورهم أن يفعلوا شيئا لو أنهـــا استدعتهم عندئذ . أما الآن فقد فات الأوان طبعا .. آسف يا مدام راند ، ولكن لابد أن نلقى القبض عليك .

ودخلت البيت من الباب الذى يصل الجاراج بالمطبخ ، ووضعت الغلاية فوق الموقد الكهربائى . ومضت الى غرفتها ، حيث استبدلت ثيابها . فلبست شورتا وقميصا أبيض ، ولم تلبس حذاء . وكانت حركتها بطيئة جدا . وعندما عادت الى المطبخ لم تكن القهوة قد نضـــجت بعد ، فانتظرت فى صبر ، وعندما صبت لنفسها فنجانا فى آخر الأمر ، وجدت القهوة مرة المزاق ، ولسعت فمها وحنجرتها . ولكن لم يكن لكل هذا أية أهمية ، فماذا تنتظر ؟ .. هل تنتظر سرينة سيارة البوليس أم عربة الاسعاف ..

ولكن الذى سمعته ، بعد لحظة طويلة .. طويلة جدا ، كان جرس التليفون ، واصغت اليه لحظة ، وهى ترجو أن يتوقف ، ولكنها عندما رأته مستمرا فى صلصلته نهضت فى استسلام وتناولت السماعة :

ـ آلو ؟

ـ جين .. جنيفر ؟

ـ نعم . ؟

بدا لها الصوت مألوفا شيئا ما .

ـ أهذا أنت يابراد ؟ .. اين انت ؟

ـ انا براد بالتأكيد . ومن غيرى يجـرؤ على ان يتصل بك فى مثل هذه الساعة غير المناسبة ؟ .. انا فى دنفر طبعا . لا اظن أننى ايقظتك من النوم ، فاننى أعرف انك تستيقظين فى وقت مبكر صيفا ، ولهذا اقدمت على التحدث اليك .. كنت شديد القلق عليك .

ـ شديد القلق ؟

ـ لم يكن ينبغى ان ادعك ترافقيننى الى المطار ، ثم تعودين الى البيت وحدك .

ـ اوه .. اهذا سبب قلقك ؟

ـ نعم . هذا هو . أعرف أنك ارملة حرة ، وانك تذهبين أينما تريدين ومتى تشائين . ولكن ليس معنى هذا أن استغلك سائقة لى .

كانت تعرف انه لابد لها أن تقول شيئا ، وأن ترد عليه . ولكنها لم تشعر باية رغبة فى النطق باى شىء .

ـ قولى لى ياجين .. الأمر على مايرام ، اليس كذلك ؟

ـ طبعا .

ـ ولكننى اشعر بأن هناك شيئا .

ـ كلا . ليس هناك اى شىء .

قال براد فى اصرار : ـــ حقا ؟

ـــ نعم .

ـــ الم اوقظك من النوم ؟

ـــ كلا ، فاننى كنت مستيقظة .

ـــ هل انت صاحية الان تماما ؟

ـــ نعم .

ـــ هل تريدين أن تتزوجينى اذن ؟

نظرت الى الجدار المواجه مليا ثم أجابت اخيرا فى هدوء تام :

ـــ كلا يا براد . لا اريد ان اتزوجك .

ثم أعادت السماعة مكانها .

ومرت دقيقة أو دقيقتان ، ثم راح الجرس يصلصل من جديد . وتركت الصوت خلفها ، وخرجت من المطبخ، حافية القدمين ، وانطلقت الى الجاراج .

كانت السيارة تنتظر . وكان الوقت نهارا الآن . ودارت بها حتى وصلت الى المقدمة . كلا .. لم يكن ما حدث الليلة الماضية حلما ، فقد كان هناك انبعاجا بالكروم ، كما كان أحد المصباحين الأماميين مكسورا .. انها اصطدمت بشىء حقا .. اصطدمت بشىء .

وصعدت الى السيارة ، وادارت المحرك ، وارتدت الى الخلف ، وخرجت من الخارج . وبلغت المكان فى

دقيقة واحدة .. المكان الذى اصطدمت فيه بذلك الشىء وانكسر فيه هناك وانبعج الكروم

ولكن لم يكن هناك شىء . وتوقفت . وهبطت من السيارة ، ومشت حافية القدمين ، فى كل من الاتجاهين ولكنها لم تر شيئا ، ولا حتى بقعة دم واحدة .. اما كان يجب ان يكون هناك دم ؟ .. او لعل الاشخاص الذين تصدمهم السيارة لا ينزفون الا من الداخل .

لم يكن هناك اى شىء .

لم تتحدث عن ذلك مع براد قبل أواخر سبتمبر ، اى فى نهاية الصيف انتظرت ثلاثة شهور لكى تروى ماحدث فى تلك الليلة التى مضى فيها الى دنفر ، ورافقته حتى المطار .

اصغى اليها فى هدوء ورفق ، وعندما فرغت ، كان التفسير معدا على شفتيه ، فقال لها انها لابد قد صدمت حيوانا ضخما ، ولم تقتله ، وانما جرحته . وانه ظل يزحف حتى تغلغـــل فى الغابة ، ولا ريب أنه مات أو شفى . فان من الصعب معرفة ذلك بعد ثلاثة شهور . ولكن هناك يقينا قويا بأن الذى صدمته انما هو حيوان .. فان رجلا ، أو أى انسان لا يمكن ان يزحف حتى يتغلغل فى الغابة ..

وابتسم براد فى تسامح ، وأخذها بين زراعيه ، وعانقها . وزجرها فى رفق لأنها لم تخبره بما حدث لها قبل ذلك . وأردف :

ــ وها أنت ترين يا جين انه كان فى مقدورى ان أوفر

لك شهورا من الشك والقلق . انت بحاجة الى . الا ترين ذلك فى وضوح الان ؟ ..

لماذا لا تتزوجيننى اذن ؟

نظرت اليه طويلا . لم يكن براد ريتشموند وسيما، ولكنه كان حلو القسمات ، يتدفق شبابا وحيوية ، فى الخامسة والثلاثين من عمره .. ناجح فى عمله .. مطلق منذ وقت طويل ، طويل جدا ، وبحاجة الى زوجة ، والى الحب .. وحيد ، مثلها تماما .

ــ جين .. ليس هذا لائقا .. ان تعيشى وحدك فى الصحراء هكذا .

ــ صحراء ؟ .. ولكن عندما تتساقط الأوراق عن اشجارها فى الخريف ، أستطيع ان أرى ديارا أخرى ، ثم اننى أحب هذا المكان .

ــ اننى أعرف .

نعم . كان يعرف .. فقد قضت ست سنوات فى هذا المكان ، سعيدة ، فى بيتها مع ايفان . وعندما مات ايفان فى ذلك الحادث فى الطريق ، مات معه مايك . ومنذ ذلك اليوم وهى تمانع فى أن تتزوج من جديد أو أن تتخذ كلبا آخر ، وعاشت وحدها .

وقال فى اصرار : ــ تزوجينى ياجين .

قالت تتحداه : ــ هل تريد أن تتزوج امرأة ارتكبت جريمة الهرب ؟

ــ ماذا تعنين ؟

ــ أعنى ان الطريقة التى وقع بها هذا الأمر لا يغير شيئا ، فأنا أدبيا ، مسئولة . اننى صدمت شيئا فى الطريق .. فان سيارتى لم تنبعج بفعل الوهم والخيال .. اننى صدمت شيئا .. مخلوقا بشريا .. حيا . وهربت .. وتركته يتألم .. ويموت .

قال براد : ــ لانك كنت خائفة ، وهذا من أوائل مبادىء على النفس . لقد مات زوجك فى حادث سيارة وتركز هذا فى ذهنك ، بحيث لم يعد فى مقدورك نسيانه . فما ان وجدت نفسك تعيش نفس الحادث حتى ذعرت .

هزت رأسها وقالت : ــ ان حقيقة أن ايفان قتل فى حادث سيارة كان سببا آخر جديرا بأن يجعلنى أفعل ما كان يجب على أن افعل .

حاول أن يأخذها بين ذراعيه قائلا :

ــ أى حبيبتى ، لن الومك على هذا ، ولن يلومك أى أحد .

ولكنها ابتعدت عنه قائلة :

ــ أما أنا فاننى سأظل الوم نفسى الى الأبد .

* * *

ولم يأت الرجل الا فى شهر يناير . كانت عائدة الى البيت ، ومعها غصن كبير اقتطعته من شجرة وقعت فوق الهضبة . وكانت تهنىء نفسها لعدم احتياجها الى أحد ، ولقدرتها على استعمال البلطة فى اقتطاع حطبها

بنفسها . ورأته فجأة ، وهى فى أول الطرقة المؤدية الى الخارج ، وكانت قد تركت بابه مفتوحا لأنها غادرت البيت منه . وكان يقف فى الجاراج ، يوليها ظهره ، ويفحص السيارة .

ولو أنه كان لايفحص السيارة لما فزعت ، ولما تولاها اى خوف ، لأنها كانت قد اعتادت على المعيشة وحدها ولم تكن عرضة للانفعال ولا للخوف ، ثم ان الوقت كان نهارا ، ولكن الرجل كان ينظر الى سيارتها فاحصا ، وكان فى هذا وحده معناه ، فهل كان . .

وأفلتت الغصن من يدها ، وأرادت ان تجرى ، وان تهرب الى الناحية المضادة . وكان فى مقدورها أن تفعل ، ولكن ، بينما كانت واقفة مترددة مكانها وقد شل الرعب حركاتها ، تحول الرجل عن العربة ، ورآها .

كان كل منهما يبعد عن الآخر بنحو مائة متر . ولم يكن باستطاعتها أن ترى وجهه أو عينيه . ومع ذلك فان نظرته اليها سمرتها فى مكانها . ومنعتها من الفرار . وعندما تحركت أخيرا كان ذلك نحوه هو ، فى بطء ، كما لو أن مغنطيسا شيطانيا يجذبها اليه .

وبهذه الطريقة ، لم تأتها أول صورة له فجأة ، وانما شيئا فشيئا كلما ازدادت منه اقترابا . ولكى يدرأ عنه البرد كان يرتدى معطفا باليا يكاد يكون اسمالا . وكان جسده صغيرا ونحيفا ، وكانت بعض خصلات من شعره الأسمر الطويل الليفى تخرج من تحت طاقية من النسيج الخشن . وخطر لها فى البداية ان وجهه تعلوه تكشيرة تغير من ملامحه ، ولكنها لم تلبث أن رأت أن هذا هو شكله الطبيعى . فقد كانت عينه اليسرى عبارة عن

ثقب ، وتحت الثقب ندبة طويلة تمتد حتى فمه ، وتبدو كأنها ترفع شفته العليا الى أعلا ، كاشفة عن نصف أسنانه . كان دميما جدا .. وبدات الكلمات القاسية تدق فى ذهنها .. دميم .. يكاد يكون مشوها .

وتوقفت على بعد عشر خطوات منه . ولعل التى ارتسمت على وجهه كانت ابتسامة ، ولكنها كانت ابتسامة بشعة ملتوية . وجعلها الخوف تعجل بسؤاله:

ــ ماذا تريد ؟

ــ هل أنت مدام جنيفر راند ؟

كان صوته رقيقا ، وفيه لجلجة خفيفة . ولعل الندبة التى فوق شفته العليا الملتوية كانت هى السبب فى ذلك

أجابت : ــ نعم .

وحاولت أن يبدو صوتها هادئا . وسألته :

ــ من أنت ؟

ــ دانى كورت .

ولكن الاسم لم يكن له أى معنى لها .

وتركها تتساءل بضع لحظات ثم أردف :

ــ أنا الرجل الذى صدمته بسيارتك منذ ستة شهور .

* * *

عرفت عندئذ .. عرفت كل ما زعم الجزء الواعى من عقلها انها لم تعرفه طوال هذا الوقت . كانت الكتلة

التي راتها مكومة فوق الاسفلت مخلوقا بشريا .. بدا كتلة من الثياب الداكنة وخصلات من الشعر الأسمر ، فى ظلام الليل ، بدت بصورتها تلك بعيدة كل البعد عن أن تكون انسانا ، بحيث استطاعت أن تخدع نفسها وتتوهم انها لم تصدم انسانا وانما صدمت شيئا آخر ومع ذلك فان عقلها الباطن كان يدرك الحقيقة .

والواقع ان قدوم الرجل لم يسبب لها دهشة كبيرة ، فقد كانت فى قرارة نفسها تتوقع ظهوره .

ــ هل تتذكرين يا مدام رائد ؟

هزت رأسها .. تبخر الذعر ، وحل مكانه الاذعان واليأس ، وكانا رفيقيها منذ نحو نصف سنة .

ــ انك اوقفت سيارتك وعدت لكى ترين . حسبت اننى ربما توفيت ، أو لعلك كنت تأملين ذلك ، ثم عدت الى بيتك . ولم تبلغى البوليس عما وقع ، ولم تطلبى سيارة اسعاف .. اكتفيت بأن عدت الى بيتك بكل بساطة .

أومأت براسها مرة اخرى وقد بهرتها عينه الوحيدة ، وكانت عبارة عن كرة زرقاء لامعة ، براقة ،

ــ كان يمكن ان اموت .. بل لقد اوشكت ان اموت .. وكننى ، بدلا من ذلك ، بقيت هكذا .

وأشارت يده الضامرة اشارة مبهمة الى وجهه ثم تقدم خطوة نحوها . وترنح وهو يقوم بهذه الحركة ، فقد كانت ساقه اليسرى أقصر من اليمنى بعدة سنتيمترات .

ماذا تستطيع ان تقول .. هل تقول له أنها حزينة وتعتذر له ؟ وأن تفسر له ماأحست به . ولكن كل ذلك بدا لها غير ملائم .. كان كل شيء رهنا به هو ، لأنه اختار أن يعود .

سألته فى ضعف : ــ ماذا تريد الآن ؟

أجاب : ــ اننى أشعر فى الوقت الحاضر بالبرد . أريد أن أدخل بالداخل ، وأن أتناول فنجانا من القهوة .

كانت مسلوبة الارادة تماما . كانت تعرف انها فى أمان أكثر فى الخارج ، فانه أعرج ، وفى مقدورها أن تهرب ، أما بداخل البيت ، بعيدا عن الجيران ، وعن المارة فلن يسمعها أى أحد ، وفى مقدوره أن يحصرها فى ركن من البيت ، فانه على الرغم من أنه ضعيف وعاجز الا أنه كان أقوى منها بكل تأكيد ، وفى امكانه أن يضربها أو أن يهددها . بسكين أو بمسدس . ولكن لم يكن لهذا أية أهمية الآن ، فقد كان هذا هو قدرها ، وهو قدر تستحقه . لم تكن هناك أبدا أية وسيلة للهرب من دانى كورت ، ولم تعد هناك وسيلة لذلك .

وتقدمتــــه ، وعبـــرت الجراج وانتقلت منه الى المطبخ ..

ــ ان غرفة الاقامة هنا .

قال : ــ سأتناول القهوة هنا .

ــ هل أستطيع أن أعلق معطفك ؟ ؟

ــ بل أريد فقط أن ألقى به فوق مقعد .

وهـــذا ما فعله بالذات ، فألقى بالمعطف وبالطاقية الحمراء فوق أحد المقاعد . وبدا شعره الأسمر قذرا وغير ممشط ودميما كباقى جسده . ولما كان لايلبس قفازا فقد راح ينفخ فى كفيه لكى يبعث الدفء اليهما .

وحاولت أن لا تنظر اليه وهو يفعل ذلك ، فتحولت عنه ، وانهمكت فى اعداد القهوة .

وقال بعد أن جلس :

ــ ان بيتك هذا صغير وجميل .

بقيت واقفة ، وعيناها لا تتحولان عن الغلاية .. ولا تحاول النظر الى زائرها .

ــ هل تقيمين هنا وحدك ؟

لم تشعر بأى توتر ازاء سؤاله هذا ، وعلى الرغم من أنها لم تستطع أن تخمن ماذا ستكون حركته ، ولا كلماته التالية ، فانها توقعت مانطق وما سينطق به . وكانت تعرف انه ينظر اليها الآن .

سألها أخيرا : ــ لماذا لا تخلعين معطفك ؟

أطاعته . وكما فعل هو القت بالمعطف فوق مقعد ثم واجهته . فقد كانت تعرف انه لابد ان تواجهه ان عاجلا وان آجلا ، ونظرت اليه مباشرة .. نظرت الى الجفن المتهدل ، والندبة الكبيرة ، والفم المعوج .. لم يكن وسيما أبدا .. لم يكن على شىء من الوســـامة أبدا ، حتى قبل الحادث الذى أصابه .

وسمعت نفسها تقول له :

ــ اننى عدت الى مكان الحادث فى صباح اليوم التالى ، ولكنك لم تكن هناك ، فأين ذهبت ؟

علت وجهه تلك الابتسامة ثانية وقال :

ــ انك فضولية .. أليس كذلك يا مدام راند ؟

ــ نعم . فاننى ظللت أسأل نفسى هذا السؤال منذ ذلك اليوم . كنت اعرف اننى صدمت شيئا لان سيارتى انبعجت . وظننت أخيرا اننى صدمت حيوانا ، زحف الى مكان آخر .

ــ وبهذا التفسير أرضيت ضميرك ؟

ــ ليس تماما ، فاننى ما كنت اريد ان أؤذى حتى الحيوان .

ــ يسرنى ان اسمع هذا يا مدام راند . والآن ، وقد تعارفنا ، فاننى ارى انك امرأة ذات ضمير .

كان يسخر منها طبعا ، ولكن لم يكن يحق لها ان تغضب ، ولهذا تقبلت السخرية ، وسألته للمرة الثانية :

ــ اين ذهبت ؟

ــ أوه ، سوف أقول لك يا مدام راند .. فاننى جئت لهذا السبب .. لكى اروى لك كل شىء . ولكن يجب ان تجلسى أولا ..

أطاعته . ففى خلال الشهور الستة التى مضت كان يخامرها احساس بأن شيئا سوف يقع . وقد تحقق هذا الاحساس الآن ..

واستطرد يقول ، وعينه الوحيدة ترغمها على أن تنظر اليه :

ــ بعد أن صدمتنى بسيارتك أوقفت السيارة وعدت سيرا على قدميك . وكنت أنا واعيا ، وعرفت انك تقفين امامى ، وقد سألتينى : هل انت على قيد الحياة ؟

عضت شفتها . انها تتذكر الآن حقا .. كانت هذه هى نفس الكلمات التى نطقت بها .

ــ كان ألمى شديدا جدا يا مدام راند . ولكننى سمعت هذا السؤال فى وضوح تام ، ولاحظت اللهفة التى كانت فى صوتك ، فقد كان لسان حالك يقول : أرجو أن تكون ميتا ، لأنك لن تستطيع أن تشهد ضدى عندئذ .. أوه .. اننى عرفت فى تلك اللحظة أى نوع من النساء أنت .. امرأة ثرية فى سيارة فارهة . طالما كرهت هـــذا النوع من النساء الثريات صاحبات السيارات الفارهة ، لأننى قضيت الجزء الأكبر من حياتى سيرا على قدمى وكرهتك أنت على الخصوص لأنك صدمتنى ولأنك هزأت بى وآثرت أن أكون ميتا . كرهتك ولم أرد على سؤالك وحرصت على ان لا يصدر منى اى انين حتى لا تعرفى اننى على قيد الحياة . ولم أخطىء فى تصورى عنك ، أليس كذلك ؟ .. لأنك عدت الى سيارتك ، ولم تأت أية عربة اسعاف . تركتنى مكاني لكى اموت .. ان مغادرة مكان الحادث جريمة كبيرة يا مدام راند .

ــ نعم . اننى أعرف ذلك .

وراحت تتـــأمل قناع وجهه بحثا عن أى دليل . وقالت :

ـــ أهذا هو السبب فى قدومك الان .. لكى تهددنى وتبتز نقودى ؟

كشر صاحب الوجه المعوج وقال :

ـــ وهذه القهوة ؟

اطاعت امره مره اخرى . واذ جاءت بفنجان واحد قال :

ـــ الا تريدين ان تشربى معى ؟

وجاءت بفنجانين عندئذ ، وباللبن والسكر . ولكن زائرها قال انه يريد القهوة بدون لبن وبدون سكر . ثم قال وهو يشير الى فنجانها :

ـــ الا تشربين ؟

واطاعته فى هدوء ، واحتست بضع جرعات . وقال اخيرا :

ـــ خير الكلام ما قل ودل يا مدام راند . لقد خطرت ببالى فكرة وانا راقد فى الطريق ، بينما كنت انت تتمنين موتى . قلت لنفسى انك حتى اذا استدعيت البوليس أو سيارة اسعاف ، او اى شىء آخر ، فسوف تقولين ان الأمر وقع قضاء وقدرا ، وحيث انك امراة ثرية فسوف يصدقونك ، وستتولى شركة التأمين الباقى . فسوف أقاسى انا واتألم وسوف تعانى شركة التأمين وتدفع ، اما أنت فلن يصيبك اى شىء . وقلت لنفسى على الفور ، اننى لن ادع الأمور تجرى هكذا .

وامسك عن الكلام ، واحتسى جرعة من القهوة ثم قال :

ـ هذه القهوة لذيذة وساخنة . ان الجو بارد فى الخارج .

وانتظرت كالسجين حين ينتظر النطق بالحكم عليه .

واحتسى بضع جرعات أخرى قبل ان يقول :

ـ ولهذا قررت ان اعود ذات يوم يا مدام راند ، فانا وزميلى ..

سألته : ـ زميلك ؟

ـ نعم فأنا وزميلى نملك سيارة نقل . وكانت تقف ، بعيدا عن الطريق ، واظن انك رايتها . ومهما يكن فقد أخذنى زميلى الى المستشفى ثم عاد بعد ذلك بيومين لكى يتحقق من السيارة ، فقد التقطنا رقم اللوحة المعدنية . وكانت العربة موجودة فى جاراجك ، وكانت تحمل نفس اللوحة المعدنية . وتحقق زميلى منك وعرف اسمك . وعرفنا انك أرملة وانك تعيشين وحدك فى هذا البيت . وأدركنا اننا نستطيع ان نبلغ البوليس عنك فى اى وقت : ـ

قاطعته قائلة : ـ مازالت تستطيع ذلك .

أومأ براسه وراح يحتسى قهوته من جديد .

ـ نعم . مازلنا نستطيع ذلك يا مدام راند .
كان كالعنكبوت الكبير البغيض يحاول أن ينسج

خيوطه حولها . وحاولت أن تقاوم لـــكى تتخلص منه فقالت فى ضعف :

ـ فى نيتك أن تبتز مالى اذن .. ولكن ألم يخطر لك ان فى مقدورك أن تحصل من شركة التأمين أكثر ممـــا تحصل عليه منى ؟

وكان رده بسيطا وهادئا اذ قال :

ـ يمكننا دائما ان نلجأ الى شركة التأمين ، اذا كان ذلك ضروريا .

وألقى فنجانه فى شىء من العنف وقال :

ـ يبدو انك نسيت ما قلت لك منذ لحظات . ليس هناك أسهل من معالجة شركة التأمين بالنسبة لك . ولكننى أردت أن أتعامل معك مباشرة ، فاننى أريدك انت أن تدفعى .

رفعت حاجبيها وقالت :

ـ انني لا أفهم .

قال لها بلهجة الأمر :

ـ انظرى الى .

هل كانت تلك التى على وجهه ابتسامة ؟ .. ان الطريقة التى كان يقلب بها شفته كاشفا عن اسنانه كان يمكن أن تكون ابتسامة . ولكن اذا نظرنا الى السبب الذى جاء من أجله أدركنا انهـــا ليست ابتسامة على الاطلاق .

واشار بيده الى وجهه ، والى جفنه المتهدل ، والى فمه المعوج وقال :

ــ أنظرى الى يا مدام راند .. ما هو المبلغ الذى تظنين ..

قاطعته قائلة : ــ ان شركة التأمين على استعداد لان تدفع مائة الف ..

هوى براحة يده على المنضدة فاهتزت الفناجين ، وصاح :

ــ لا تتكلمى عن شركة التأمين ، فاننى لا اريد شيئا منها .. انما أريد منك أنت أن تدفعى .

قالت فى تذلل أمام غضبه :

ــ ولكننى لا أملك كل هذا المبلغ ..

صاح من جديد : ــ المال .. ولكننى لا اريد مالا فحسب .

نظرت اليه مذعورة وقالت :

ــ ماذا تريد اذن ؟

ولم يكن سؤالها بأكثر من همســـــة . وأجابها فى هدوء :

ــ اريد حياة .

ــ ماذا ؟

ــ اريد حياة .

ــ حياتى .. هل جئت لكى تقتلنى ؟

وكان سؤالها هذا لا يزيد عن همسة هو الاخر ، ولكنه هز راسه وقال :

ــ لا اريد أن اقتلك يا مدام راند .. انما اريد الحياة التى حطمتها أنت .. الحياة التى كنت أحياها من قبل .. حياتى العادية ..

همست تقول فى مشقة :

ــ وكيف استطيع ؟ ..

كانت عينه الوحيدة تحدق فيها فى قسوة كالقاضى حين يتأهب للنطق بالحكم ، والواقع أن ما كان يطالب به كان نوعا من العدل الهمجى ، فقد قال :

ــ اريد كل ما تملكين .. هذا البيت .. والسيارة .. وحسابك فى البنك .. واريدك أنت .

وكتمت الصيحة التى اوشكت ان تفلت من بين شفتيها وعاد يقول :

ــ اريدك أنت .. انت يا جنيفر .

* * *

وعندما أقبل براد فجأة ذلك المساء ، ولم يكونا على موعد ، كان الجزء الاكبر من أزمتها قد مر ، ولكنها بدت له متغيرة كثيرا ، والواقع أنها كانت كذلك ، وكانت تعرف ذلك ، فقد القت الى المرآة نظرة سريعة وهالها

ان ترى أمامها امرأة غريبة عنها ، شاحبة الوجنتين ، زائفة العينين .

— جين .. ماذا بك يا جين ؟ .. هل انت مريضة ؟

وأخذها من كتفيها ، ولكنها تخلصت منه ، وارتدت بعيدا ، فقال :

— جين !

— براد . انصرف يا براد .. ما كان يجب أن أفتح لك ..

— لو أنك لم تفتحى لحطمت الباب . ماذا حدث ؟ .. لن انصرف . يجب أن تقولى لى .

وروت له أخيرا قصة دانى كورت .

أخذ برادلى يغلى لفرط الغضب ، وبدا كأنه على حافة العنف ، ولكنها رأته يغالب نفسه لكى يحتفظ برباطة جأشه ويفكر . فقد كان براد هادئا دائما ، ورقيقا ، يواجه كل الأمور من جميع الزوايا ، ثم يلجأ الى أمثل طريقة لكى يتصرف . ولكنه كان مضطربا الآن .. ولم يكن قد اهتدى الى ما يجب عمله بعد . وسألها أخيرا :

— وأين هذا الدانى كورت الآن ؟

— فى الخارج ، مع السيارة .

— سيارتك ؟

— نعم . قال انه يريد ان يتجول بالعربة التى صدمته .

ــ انه سرقها .

ــ اوه .. ليته يفعل يا براد .. ليته يأخذها ويحتفظ بها ويقتصر الأمر على ذلك ، فانه ان فعل فلن أراه بعد ذلك أبدا .

هز راسه فى اكتئاب وقال :

ــ نعم . اظن ان الأمر سوف يقتصر على هذا .

ــ ولكننى اعرف اننى لن اتخلص منه بهذه السهولة .. انه سيعود .

ــ واذن ؟

ــ لا ادرى .

ــ جين .. سأدعو البوليس لالقاء القبض على هذا الرجل .

ــ باية تهمة ؟

ــ انه يحاول ان يهددك .

ــ اتريد ان يقول للبوليس اننى هربت بعد ان صدمته بسيارتى .

ــ يمكنك ان تفكرى .. انك اصلحت سيارتك .. ماذا يستطيع ان يثبت . لن يستطيع التدليل على مايقول:

هزت راسها ، ونظرت اليه فى أسف . لماذا لم تتزوجه منذ سنة ونصف مضت ، عندما طلبمنها ذلك لأول مرة . لو أنها فعلت لما اقامت هنا بعد ذلك ، ولما سلكت هذا الطريق وصدمت دانى كورت وشوهته .

قالت فى اصرار : اننى مذنبة يا براد ... مسئولة عما جرى لهذا الرجل . اننى أفسدت حياته . الا تفهم هذا ... انها ليست مسألة قوانين فحسب ، ولكنها مسألة أخلاق . اننى مذنبة أخلاقيا ، ولهذا يجب أن ادفع ... وان ادفع الثمن الغالى .

ـ ماذا تعنين ؟

ـ يقول اننى أضعت فرصته فى أن يحيا حياة عادية، ويريد ، كأى رجل غيره بيتا وزوجة ... يريد هذا البيت ، ويريدنى أنا معه .

ـ ولكن مهلا !

تقدم براد نحوها . ولكنها ارتدت عنه مرة أخرى وتحاشته . ولم يلاحقها ، ولكنه عض على شفته ؛ وشد على قبضته .

ـ اتفقنا ... اتفقنا ... ان معه سيارتك اذن . فليحتفظ بها . أما فيما يخص البيت ، وفيما يخص الزوجة ...

وتوقف وقد صدم فى شعوره وقال :

ـ انه لن ينالك .

وفيما هما يقفان يتبادلان النظر سمعا أصواتا بالخارج ... كان صوت المحرك ، وعجلات السيارة وهى تمشى فوق الحصى ثم صوت باب الجاراج وهو يفتح ويغلق بعد ذلك ، وتناهت اليهما أخيرا أصوات حركات بداخل البيت ... خطوات قلقة ، غير متساوية ، ثم ظهر دانى كورت .

وتكلم هذا الأخير ، كما لو كان فى بيته فقال :

ــ من هذا الرجل يا جنيفر ؟

اجابت اوتوماتيكيا : هو براد ريتشموند ... صديق حميمجدا ... وهو يعرف من أنت .

رأت براد مفغور الفم امام الرجل ، ذى الساق العاجزة ، والوجه المشوه . ولكنه لم يلبث ان تمالك نفسه على الفور ، فقد كان قوى الارادة ، يعرف كيف يواجه الأمور ، وهذا هو سبب نجاحه فى عمله . ورأته الآن يواجه الصعاب . كان متوترا جدا ، ولكن أعصابه لم تفلت منه كما حدث معها هى . وبدأ يقول:

ــ انا وجنيفر صديقان حميمان يا مستر كورت . وعلى الرغم من أنه لا توجد بيننا مشاريع رسمية ، الا انه قد سبق أن تكلمنا عن الزواج ، ولهذا فانني اعتبر أن مشكلتها مشكلتى فى نفس الوقت .

اعتمد الرجل على الجدار ، معطيا بذلك لجسده المتكأ الذى لا تستطيع ساقه القصيرة ان تمنحه اياه . ولم ينطق بشىء . وقال براد :

ــ يبدو انك تواجه مشكلة يا مستر كورت .

بدا أن الوجه البشع المشوه يبتسم . وعاد براد يقول :

ــ لقد أخبرتنى مدام راند بالقصة التى رويتها انت لها . انك تزعم انك كنت المصاب ، وان زميلا لك فى سيارة نقل أسعفك . ومعنى هذا أن سيارة النقل كانت تقف فى الغابة . فأين كان صديقك ساعة

الحادث ؟ ... هل كان معك ، أم كان فى مكان آخر ؟ ولماذا كنتما تتجولان فى الغابة فى ذلك الوقت المتــأخر من الليل ؟

نظر الرجل اليه بعينه الوحيدة الزرقاء نظرة ساخرة، ومر بلسانه الأحمر على شفته المقلوبة وقال :

ــ كنا نتعرف على المكان .

ــ ماذا تعنى ؟

ــ بدا لنا أن المكان وفق ما كنا نريد ... فالبيوت معزولة بعضها عن بعض ... وقد خطر لنا اننا قــد نجد بيتا ...

ــ تعنى انه خطر لكما انكما قد تجدا بيتا خاليا من اصحابه لكى تسرقاه ؟

ــ هذا جائز .

ــ ولماذا لم تقل هذا لمدام راند ؟

ــ لأنها لم تسألنى .

ــ أنت لص محترف اذن يا مستر كورت ؟

ــ لم أقل هذا .

وأخذ كورت يعرج داخل الغرفة ، ومضى الى افضل مقعد فجلس فيه ، وقد بدا عليه التعب . وقال

ــ مهما يكن من أمر فليس لهذا اهمية الآن ... وليس هناك أى فرق ، فأنا انسان ، وقد صدمت جنيفر انسانا ، وتركته يموت فى عرض الطريق .

ــ هل لك أن تكف عن الاشارة اليها باسمها ؟

وهكذا فقد براد السيطرة على نفسه لمجرد لحظة . وتحول عن الرجل وهو يحاول أن يتمالك نفسه . كان من السهل عليه طبعا أن يلقى به الى الخارج ، بل ان يقتله . وكان يبدو انه يود لو ان يفعل ، ولكنه استدار نحو جنيفر أخيرا وقال :

ــ لماذا لا ندعو البوليس ؟ ... ان هذا الرجل مجرم .

تدخل كورت وقال :

ــ هذا أمر لا يمكنك اثباته .

جلس براد . أحس الآن انه افضل حالا . ونظر الى كورت لحظة طويلة ، ثم عاد الى القاء الاسئلة .

ــ وتقول أن زميلك نقلك الى المستشفى ؟ ... اى مستشفى ؟ ... ومن هو الطبيب الذى عالجك ؟

ــ وما اهمية كل هذا ؟

ــ ان ذلك الطبيب لم يقم بعمل جميل فى المستشفى .

ــ ذلك اننى كنت فى حالة ميئوسا منها .

ــ أوه ، طبعا . ولكن الجراحة تقدمت ، وتقع معجزات اليوم ، وان طبيبا قديرا كان فى مقدوره أن ..

صاحت جنيفر : كفى يا براد . لماذا تريد ان تعذبه هكذا ؟

ــ اننى لا أريد تعذيبه ، وانما اريد حقائق . اننا بحاجة الى الحقائق .

انظرى الى هذا الرجل ياجين . انه مشوه حقا ، وهو يعرف انك صدمت شيئا فى الطريق ، ولكنه لم يثبت انه هو الذى صدمته ، فكيف نعرف انك أنت التى صدمته . أن هذه الندبة التى بوجهه قديمة جدا .

سأله كورت بدون غضب ، ولكن فى قلق :

ــ هل انت طبيب ؟ ... هل تعرف الفرق بين الجروح القديمة والحديثة ؟

ــ كلا . ولكننى أستطيع ان الجأ الى طبيب لمعرفة ذلك ، فهل توافق على ان اعرضك لفحص طبى .

اضطجع كورت فى مقعده الى الخلف وقال :

ــ كلا . ليس هناك ما يحدونى الى ذلك فان جنيفر تصدقنى ، ولست احفل صدقتنى انت أم لا .

تحول براد اليها وقال :

ــ هل تصدقينه ؟

أومأت بالايجاب . وأسرع الآخر يقول تلقائيا :
ــ لا تنس يا صاحبى اننى أثبت الأمر لجنيفر ، فعندما هبطت من سيارتها عادت أدراجها على قدميها لكى ترى ماذا صدمت ، وسمعتها تقول : « هل انت على قيد الحياة ؟ » هذه هى كلماتها بالذات . سألها ... كيف كان بمقدورى أن أعرفها لو لم أكن انا الملقى بالطريق ؟

القى براد اليها نظرة تنطق بالحزن والعجز . ومن جديد هزت رأسها .

ــ انصرف يا براد . انك لا تستطيع أن تفعل شيئا .

ـ وهل اتركك هنا وحدك معه ؟

ـ نعـــم .

تدخل كورت فقال :

ـ ما الذى يزعجك يا صديقى ؟ ... هل تظن اننى سأغتصبها ؟ ربما كنت لصا ، وان كنت لا أستطيع الآن، فى حالتى هذه ، ممارسة هذه المهنة ، ولكننى لا أغتصب النساء . سأنام فى غرفة الاصدقاء الى ان نتزوج، انا وجنيفر .

ـ جين ؟

عبر براد الغرفة ، وامسكها من كتفيها فى قسوةوقال:

ـ لن تتزوجيه .

ـ وماذا أستطيع أن أفعل غير هذا ؟

ـ فليذهب الى البوليس ... سوف يحبسونك سنة ، وهذا أفضل .

ـ ولكن هذا لن يساعد دانى .

ـ جين . لا يمكنك أن تفعلى هذا ... انك كنت ستتزوجيننى .

ـ كان هذا منذ وقت طويل يا براد . لقد أضعنا فرصتنا ، ولدى مسئوليات أخرى الآن .

ـ جين ، لن اتركك تفعلين هذا يا جين ... اننى مصر .

ــ ارجوك يا براد ... انصرف .

ــ لن اتحرك من هنا .

واجهته فى صراحة وحزم قائلة :

ــ سأضطر اذن الى الاتصال برجال البوليس ، والى ان اقول لهم ان براد ريشموند فى بيتى ضد ارادتى ، واننى أريد أن يرحل .

ابتعد عنها قائلا : انت مجنونة ! .... هذه الحثالة الجالسة فى ذلك المقعد مجنون ، ولكنك اكثر منه جنونا .

ودار على عقبيه على اثر ذلك وخرج من الباب العمومى دون ان ينطق بكلمة وداع ، او أن يزيد بكلمة اخرى . ومضت الى الباب واغلقته ، فى حين انطلقت عربته . ثم تحولت الى دانى وقالت :

ــ حسنا ؟

ــ هل تظنين انت ايضا اننى ساغتصبك ؟

ــ كل ما اعرفه عنك هو انك الرجل الذى صدمته .

ــ حسنا . ان ذلك الرجل اعنى صديقك ، قد يحاول الايقاع بى ، ويتهمنى باغتصابك ، ولن أجازف بذلك . سوف انام فى غرفة الاصدقاء حقا . وسنفرغ من كل هذا فى رفق وطبقا للقانون ، لأننى لا أريدك انت فحسب يا جنيفر ، وانما أريد كل ما تمتلكينه . اذهبى الى فراشك الآن ، فان أمامنا الكثير غدا ... يجب أن نحصل على رخصة بالزواج ، وان نرسم الخطط لقضاء

شهر العسل . واننى سعيد الآن فى انتظار شهر العسل هذا .

اطاعته ومضت الى غرفتها ، وتركته جالسا فى مقعده الأثير ، ينظر الى نار المدفأة وهو يشعر تماما بانه اصبح سيد البيت .

* * *

ظهر دانى كورت يوم الثلاثاء ، واقبل يوم الخميس وقد فرغ من كل الاجراءات وحصل على رخصة الزواج . وقال :

ــ سيزوجنا القاضى فيرون فى الساعة الرابعة .وقد حجزت جناحا لقضاء الليلة فى ساندبورى ، وسننطلق بعد ذلك الى الجنوب بكل هدوء . ان فلوريدا فى هذا الوقت من السنة مزدحمة دائما . ولكننا سوف نجد شيئا ... اريد ان اعرض جسدى لأشعة الشمس اطول وقت ممكن .

لم تناقشه ، وانما مضت الى البنك فى هدوء ، وسحبت ما يكفى من النقود من أجل الرحلة .

وحزمت حقائبها تحت نظرات دانى اليقظة . وقال هذا الأخير :

ــ ان هذا التايير الأخضر الباهت مناسب جدا لحفلة الزفاف .

واشرف بنفسه على ثيابها ،وكان بها خمسة مايوهات بكينى لأجل بلاج فلوريدا . وقد امتلأت بها خمس حقائب

عن آخرها . اما هو فلم يكن يملك شيئا ، ولكنه قال انه سوف يشترى ما يحتاج اليه فى الطريق .

وبلغت الساعة الثالثة . وكان دانى يضع الحقائب فى السيارة ، عندما جاءتها المكالمة التليفونية . وكان براد هو المتكلم . ولم تكن قد رأته منذ يوم الثلاثاء .

قال : الحمد لله اننى وجدتك . هل الأمر على مايرام؟

كانت تعرف ما يعنيه فقالت : نعم .

ـ حسنا . اننى قادم لكى أراك . .

قاطعته قائلة : كلا ، لا تأت .

وحدثته عن موضوع الزواج .

ولكنه قاطعها قبل أن تتمكن من انهاء حديثها فقال :

ـ هذا محال . احتجزيه حتى آتى . هل فهمت يا جين ؟

ـ وما الجدوى يا براد ؟

ـ اصغى الى . اننى قمت ببعض التحريات ،وبحثت فى كل المستشفيات والعيادات فى نطاق مائة وخمسين كيلو مترا من جميع الجهات . وراجعت كل البطاقات بحثا عن اسم كورت . وقد تعاون الجميع معى ، وساعدنى ضابط بوليس من معارفى . لم نجد اى اثر لاسم كورت . هل تسمعين ؟

من الممكن ان يكون استخدم اسما آخر طبعا ، ولكننا نعرف تاريخ اصابته المزعومة . . . ٢٥ يونية . . . ليس

هناك أية اصابة من هذا النوع فى ذلك التاريخ ، ولا فى الايام التى تليه . هل تفهمين .

قالت فى قلق : ربما نقله زميله الى ابعد من مـــائة وخمسين كيلو مترا .

ــ هذا جائز . ولكن لأى سـبب ... انه كان يتألم ، وكان يمكن أن يموت . ليس لهذا اى معنى .

ــ براد . لا فائدة من كل هذا ... اننى مذنبة .

ــ اسـمعى ما اقـــول لك . احتجزيه ، ولا تغادرى البيت . سـأكون لديك بعد نصف سـاعة ، وربما بعـــد عشرين دقيقة . ابقى مكانك . اننى احبك .

واعاد السماعة مكانها .

ابتعدت عن التليفون ، ووقفت امام المرآة ، ونظرت الى صورتها فيها . كانت ترتدى التايير الأخضر الباهت . وكان شعرها يبرق . ولم تكن قد خضبت وجهها فى افراط ، ولكنها لم تبد كعروس مقبلة على الزواج ، وانما بدت كمحكوم عليه بالموت يساق الى حجرة التنفيذ . ومهما يكن ، افلم تكن مذنبة ... مذنبة تمضى الى حيث ينفذ فيها الحكم ؟

الحكم بالسجن المؤبد ... ورأت أنها ترتعش . لو انها قتلت دانى كورت ، فى تلك الليلة ، واسرعتالى البوليس ، وطلبت عربة اسعاف ، لكانت حرة طليقة الآن . من كان يستطيع أن يشهد بأنها كانت مسرعة ؟ ولو انها أصابته وتكلمت فى التليفون بعد ذلك لوبخها ضميرها بدون شك ، ولكنها تبقى حرة طليقة بعد ذلك . ولكنها بدلا من كل هذا ، صدمته وهربت ... تركته

يتألم ... وربما يحتضر ... ولهذا السبب ، فهى لا يمكن أن تكون حرة طليقة الآن ... ستظل سجينة الى الأبد .

ولكن ، كان كل هذا نوعا من العدل ، اليس كذلك ، فهى تعيد له الآن كل ما حرمته منه...او كل ماتستطيع ان تعيده اليه .

ــ جنيفر ، .. حان الوقت لكى نرحل .

وجاءها صوته من المطبخ . واطاعته اوتوماتيكيا . ووجدته ينتظرها هناك . وقال :

ــ ان العروس جميلة جدا .

هل كان يسخر منها ؟ كيف يمكنها ان تعرف ذلك ؟

وابقى الباب مفتوحا ريثما مرت منه الى الجاراج . وكانت السيارة التىتسببت فى ضياعها هناك،والصندوق الخلفى مملوءا بحقائب رحلة العسل . وفتح العريس الباب الأمامى للمقعد الذى يجاور مقعد السائقفركبت وانفتح باب الجاراج ، وأنبعثت منه اشعة الشمس ، وملأت المكان ، ودار الأعرج بالسيارة ، وصعد الى مقعد السائق ، ولكن قبل أن يجلس ، انتزعت مفاتيح السيارة من لوحة القيادة .

ولم يلحظ عدم وجودها الا بعد ان جلس . ورأته يتوتر . وسألها بعد لحظة :

ــ أين المفاتيح يا جنيفر ؟

قالت : انها معى .

ــ اعطينى اياها .

ــ كلا .

ساد الصمت ... نوع من الاختبار القسرى . وكان هو أول من تكلم فقال فى هدوء :

ــ ماذا حدث ؟

كلمنى براد ريتشموند فى التليفون . انه بحث فى كل المستشفيات ، ولم يجد اسم كورت ، ولا اسم أى مصاب آخر اصيب باصابتك فى يوم من يونية او الايام التى تليه .

ــ وانت الآن لا تصدقيننى ؟

وكان صوته هادئا يدل على ثقته بنفسه :

ــ الى اى مستشفى مضوا بك ؟ ... ومن الطبيب الذى عالجك ؟

ــ لا استطيع الرد على هذه الاسئلة ... ولا حتى لك انت يا جنيفر .

فهناك قوم يجب ان اسهر على حمايتهم .

ــ لن اتزوجك اذن .

وادهشها هدوء صوتها ، وتلك الثقة المفاجئة التى عادت اليها ،وقرارها الفجائى . هل سيكون براد فخورا بها ... تمنت ذلك . فان رضاء براد كان ضروريا ، وهو الشىء الوحيد الذى اصبحت تتعلق به الآن .

ولم يتحرك دانى من مكانه وقال :

ــ الن تسددى دينك لى ؟

ــ لن افعل الا بعد ان اتأكد من أننى مدينة لك به حقــا .

ــ ولكن سبق ان ذكرت لك وصفا تفصيليا عــن الحادث . كيف كان فى مقدورى أن اعرف كل ذلك لو لم اكن هناك ؟

ــ ربما حدثك به شخص آخر .

ــ من ؟

ــ الشخص الذى صدمته ... قبل ان يموت ... زميلك فى ذلك الكاميون ... ربما كنت أنت الصديق ، ولعلك أنت الذى ذهبت به الى المستشفى .

ضحك فى هدوء وفى سخرية وقال :

ــ لا ريب أن براد ريتشموند هو الذى دس هــذه الفكرة السخيفة فى رأسك .

لم تتراجع عن قولها تحت سخريته ، كما فعلت من قبل ، وقالت :

ــ هذا جائز . ولكننى اريد أدلة حاسمة .
ضحك ثانية وقال :

ــ وما هى الأدلة الحاسمة التى استطيع ان أقدمها لك .

ترددت . ولكن ترددها كان يسيرا جدا ، وسألته :

ـ هل تتذكر الطريقة التى أصبتك بها .

ـ ماذا تعنين ؟

ـ اننى اتذكر التفاصيل جيدا .

وراحت ثقتها بنفسها تزداد وهى تتكلم . وقالت :

ـ اننى اتذكر هيئة الرجل الذى رأيته لأول مرة . . واتذكر كيف صدمته السيارة ، فهل تتذكر انت . . ؟

ـ ولكننى رويت لك كل ذلك .

ـ انك رويت لى ماحدث بعد الصدمة . كيف خرجت انا من السيارة ، وكيف عدت ادراجى سيرا على قدمى ، وماذا قلت . ولكن هل تتذكر أنت تفاصيل الصدمة .

كان قلقا . ولم تكن تنظر اليه . بل رفضت ان تنظر اليه مباشرة ، ولكنها أحست بأنه أصبح على حذر وانه يزن كل ما يقول . وأجاب فى بطء :

ـ نعم . واضح أن السيارة صدمتنى . . . فى ساقى ورأسى . . .

ـ نعم . ولكن كيف ؟ وأى جزء من السيارة هو الذى صدمك ؟ . . . هل قذفت بك بعيدا . . . هل مرت السيارة فوقك ؟ . . . أى جانب من السيارة ؟

ـ جنيفر . . . لقد حدث هذا فجأة واننى . . .

استمرت تحدق فى جدار الجاراج ، وقالت :

ــ لن اقبل هذا القول يا مستر كورت ، فقد سبق ان قلت ذلك . انك تعى كل التفاصيل التى تلى ذلك .

ــ هذا شىء مختلف .

كان الآن على حذر ولم يعد يسخر منها . بل كان يحاول تهدئتها .

ــ هناك اختلاف بين الاشياء التى تقع فجأة، والاشياء التى تقع عندما يكون أمامك الوقت لاستيعابها ، وعندما يكون أمامك سبب وجيه لفحصها بعناية .

اجابته فى قسوة :

ــ لقد حدث الأمر فجأة بالنسبة لى انا ايضا ، ولكن الصورة مازالت ماثلة فى ذهنى ، وستظل ماثلة الى الأبد .

ــ كل ما اذكره هو اننى رأيت مصابيح السيارة فجأة . وقد بهرتنى ، ولم اعرف الى أى جانب من الطريق التقت بى .

ــ لا ريب انك أصبت من الجانب الأيسر للسيارة .

ــ طبعا .

ــ وماذا ايضا ؟

ــ لا ادرى .

ــ اريد ادلة ؟

ــ اية ادلة ؟

وفجأة ارتسمت على ملامحه امارات الشر ، وخطر لها انه قد يقدم على بعض العنف ، ولكن كان لابد لها من المجازفة .

صاح بها : اية أدلة ؟ ... انظرى الى جسدى المشوه !

ــ ولكن ليس هذا ما انكره ... قدم لى دليلا انكره .

لهث يقول ، واحست بأنفاسه الحارة على صدغها :

ــ اننى لا افهم .

وعندئذ ثارت اعصابها ، وراحت تحدق فى جدار الجاراج ، من خلال زجاج مقدمة السيارة ، وبدأت تتكون فى ذهنها صورة غامضة .

وضيقت عليه قائلة : اثبت لى انك انت هو الذى صدمته حقا .

بدا عليه التردد وقال : هل تريدين أن أخرج ، وان اقف أمام السيارة ؟

ــ نعم ، نعم . قد يساعد ذلك .

ادار مقبض الباب ، وهبط ، واخذ يعرج حتى وقف امام السيارة ، ونظر اليها . وصاح :

ــ كيف أبدو الآن ؟ ... هل تكاملت الصورة فى ذهنك ؟

ــ نعم .

والواقع انه على الرغم من أن اشعة الشمس كانت تغمر الجاراج وتبدو أقوى من الضوء الذى كان ينبعث من المصباحين الأماميين للسيارة وقت الحادث، فان ذكرى الكابوس بدأت تتشكك وتتجسد . ولا ريب أن امارات الرعب ارتسمت على ملامحها لأنه تسمر عندئذ فى زهو وانتصار . ولكن كانت لاتزال هناك نقطة صغيرة ... غير انه كان لها أهميتها .

صاحت به : ارفع ذراعك اليسرى أمام وجهك . لا تنظر الى حاول أن تحمى بها وجهك ... لا تنظر الى ... نعم ، هكذا .

وتبع تعليماتها بدقة . وكانت تعرف أن سيارتها تتجاوب معها بأسرع ما يمكن ، فأدارت المحرك على الفور ... وضغطت بيدها على مفتاح الحركة .

وصرخ فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها العربة الى الأمام ، حتى قبل أن تدوس بقدمها على دواسة السرعة ، وانحشر بين السيارة وجدار الجاراج .

وصرخت هى الأخرى ، وتسللت يدها الى اليسار ، تحاول ان تجد دواسة الانطلاق لكى تضغط عليها بكل قواها ، وتفرغ من العمل .

ولكن براد كان بجوارها ، وملأت كتفاه العريضتان باب السيارة ، فى محاولة لكى يجرها الى الخارج .

وصاحت به : دعنى ... اننى اريد أن اقتله ... هذه هى الوسيلة الوحيدة ... أريد أن أضع حدا لآلامه ، ثم أمضى الى السجن بعد ذلك

ـ لا تفعلى يا جين ... ارجوك أن لا تفعلى .

ولم يسعها الا ان تنحنى لارادته . واخرج براد كتفيه وذراعيه ، وسمعته يقول :

ـ كورت .

كان الرجل ينظر اليهما معا وقد اتسعت عينه الوحيدة ، وتألقت لفرط رعبه .

ـ كورت ! .. قل الحقيقة الآن .

قال وهو يلهث : لم اكن انا . اننى اصبت فى وجهى وساقى ... فى حادث سيارة نقل ... منذ أربع سنوات ... أما جنيفر فقد قتلت كلبى ... وقد دفنته فى الغابة ، وسأريكما المكان . وعرفت أنها حسبت انها صدمت انسانا عندما سألت «هل انت على قيد الحياة ؟» وهكذا خطرت لى فكرة الانتقام ... فقد كنت أحب هذا الكلب ... كان الصديق الوحيد الذى أحببته .

ونظرا اليه معا وهو يعرج ، منصرفا ، ويهبط الطريق الذى قدم منه . وقد عرضا عليه أن يمضيا به الى محطة الاوتوبيس ، أو الى المطار ، أو الى أى مكان آخر يريد . ولكنه رفض وقال انه ليس عاجزا ، وان فى مقدوره أن يدبر أمره . وعرضا عليه بعضا من المال، ولكنه رفض ذلك أيضا ، وقال انه ليس مفلسا ، وانه يستطيع أن يدبر أمره فى هذه الناحية ايضا .

وقالت جنيفر تسأل براد :

ـ هل تظن انه سيعود ؟

اجاب : ابدا . انك تخلصت منه الى الأبد .

ــ اننى قتلت صديقه . سوف يوبخنى ضميرى الى مالانهاية . . . اننى اريد ان ارحل من هذا المكان . لا اريد ان اراه بعد اليوم .

وعدها براد قائلا :

ــ سوف آخذك بعيدا عنه .

تمــــــــت

التوزيع فى ج. م. ع : مؤسسة الاهرام

التوزيع فى جميع الدول العربية

الشركة الشرقية للنشر والتوزيع — بيروت . لبنان

رقم الايداع ٢٧١٨ / ١٩٧٧

ISBN الترقيم الدولى ٤ — ٢٣ — ٧٠٢٦

مطابع الاهرام التجارية

الطريق المسدود

صدمت بسيارتها شيئا فى الطريق وهربت ، ولم تتوقف ، الأمر الذى يعتبر فى الولايات المتحدة جريمة لا تغتفر . ومرت ستة شهور ، وضميرها لا يفتأ يؤرقها ، ثم جاءها الرجل الذى صدمته ، وكان أعرج مشوها بطريقة بشعة ، وطالبها بدفع الثمن . ترى ما هو ، وهل تستجيب له ؟

الثمن ١٥ قرشا
فى ج . م . ع